المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الرابع والعشرين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٠٠ — الموافق ٢٩ شوال سنة ١٣١٧

البعوض وطبائعه

لا يستخفنَّ الفتى بعداوة ابدًا وان كان العدوُّ ضئيلا

ان القذى يؤذي العيونَ قليلهُ ولربما جرحَ البعوضُ الفيلا

ولو بُعِث ابو الفتح البستي ناظم هذين البيتين ورأى علماء الطب والميكروبات يضربون في ايطاليا والهند وغربي افريقية يبحثون عن البعوض وكيفية تولدهِ ونشرهِ الحميات الاجمية التي تفتك بالالوف بعد ان تصيب الملايين لوجد الى التمثيل سبيلاً اوسع ولزاد على ما قالهُ بعضهم

لا تحقرنَّ صغيرًا في عداوتهِ ان البعوضة تدمي مقلة الاسدِ

ان البعوضة تنغّص كأْس الحياة وتورد الناس موارد الهلاك ولكن ليس كل البعوض في ذلك شرعًا ولو كان كلهُ مؤلمًا مؤذيًا

والذين تكلموا عن البعوض من علماء العرب وصفوهُ وصفًا حسنًا. قال الدميري في حياة الحيوان الكبرى انهُ على خلقة الفيل الاَّ انهُ اكثر اعضاء من الفيل فان للفيل اربع ارجل وخرطومًا وذنبًا وللبعوض مع هذه الاعضاء رجلان زائدتان واربعة اجنحة . وخرطوم الفيل مصمت وخرطومهُ مجوَّف ولذلك اشتدَّ عضهُ وقوي على خرق الجلود الغلاظ قال الراجز

مثل السفاة دائمًا طنينها رُكب في خرطومها سكّينها

وممَّا الهمهُ الله تعالى انهُ اذا جلس على عضو من اعضاء الانسان لا يزال يتوخَّى بخرطومهِ المسام التي يخرج منها العرَق لانها ارق بشرةً من جلد الانسان فاذا وجدها وضع خرطومهُ فيها وفيهِ من الشره ان يمصَّ الدم الى ان ينشقَّ ويموت او الى ان يعجز عن الطيران فيكون ذلك سبب هلاكهِ

ومن عجيب امرهِ انهُ ربما قتل البعير وغيرهُ من ذوات الاربع فيبقى طريحًا في الصحراء فتجتمع السباع حولهُ والطير التي تأكل الجيف فمن اكل منها شيئًا مات لوقتهِ . وكان بعض الجبابرة من الملوك بالعراق يعذّب بالبعوض فيأخذ من يريد قتلهُ فيخرجهُ مجرَّدًا الى بعض الآجام التي بالبطائح ويتركهُ فيها مكتوفًا فيقتل في اسرع وقت واقرب زمان" انتهى قول الدميري

وزعم الجاحظ في كتاب الحيوان ان الذباب يأكل البعوض ونقل عن محمد بن الجهم ان الذبابة تأكل البعوض تصيدهُ وتلقطهُ وتفنيهِ. وذكر ابن الجهم كيف اكتشف ذلك قال "اني كنت اريد القايلة فامرت باخراج الذبان وطرح الستر باغلاق الباب قبل ذلك بساعة فاذا أُخرجن حصل في البيت البعوض وقوي سلطانهُ وقوتهُ فكنت ادخل الى القايلة فيأكلني

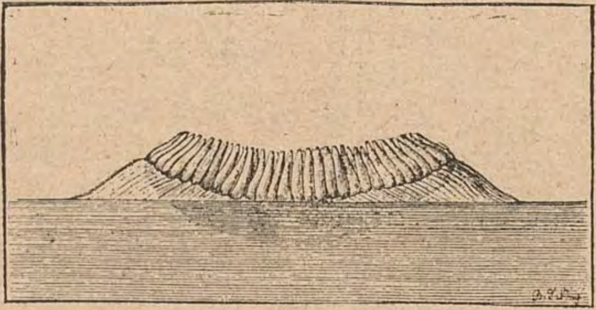

(١) بيوض البعوض

البعوض اكلاً شديدًا فاتيت ذات يوم المنزل في وقت القايلة فاذا ذلك البيت مفتوح والستر مرفوع وقد كان الغلمان اغفلوا ذلك في يومهم فلما اضطجعتُ للقايلة لم اجد من البعوض شيئًا فنمت في عافية فلما كان من الغد عادوا الى اغلاق الباب واخراج الذبان فدخلت التمس القايلة فاذا البعوض كثير . ثم اغفلوا اغلاق الباب يومًا آخر فلما رأيتهُ مفتوحًا شتمتهم فلما صرت الى القايلة لم اجد بعوضةً فقلت في نفسي قد اراني نمت في يومَي التضييع وامتنع مني النوم في ايام التحفظ والاحتراس فلمَ لا اجرب ترك اغلاق الباب في يومي هذا فان نمت ثلاثة ايام لا القى من البعوض اذًى مع فتح الباب علمت ان الصواب في الجمع بين الذبان والبعوض فان الذبان تفنيهِ وان صلاح امرنا في تقريب ما كنا نباعدهُ ففعلت ذلك فاذا الامر قد تمَّ فصرنا اذا اردنا اخراج الذبان اخرجناها بايسر حيلة واذا اردنا افناء البعوض افنيناهُ بايسر حيلة" .
انتهى ما نقلهُ الجاحظ عن ابن الجهم وفيهِ استدلال حسن لو كان كاملاً

والمعروف الآن ان البعوض انواع كثيرة منتشرة في كل البلدان والاقاليم من سيبيريا والاسكا شمالاً الى خط الاستواء والى اقصى البلدان الجنوبية . وقد عرف العلماء مئة وخمسين نوعاً منها على الاقل وهي من الحشرات التي تعيش في الماء والهواء فتولد في الماء وتقيم فيهِ ما طابت لها الاقامة ثم تغير شكلها وتركب اجنحة الرياح

فاذا شعرت البعوضة انها حامل وقد حان الوقت لتبيض وتخلف نسلاً ذهبت تفتش عن الآجام والمستنقعات التي فيها ماءٌ كثير لا يجف وقليل لا يعيش فيهِ السمك حتى اذا وجدت ما تطلبهُ باضت بيوضها واحدة بعد الاخرى والصقتها بعضها ببعض بمادة صمغية حتى تصير

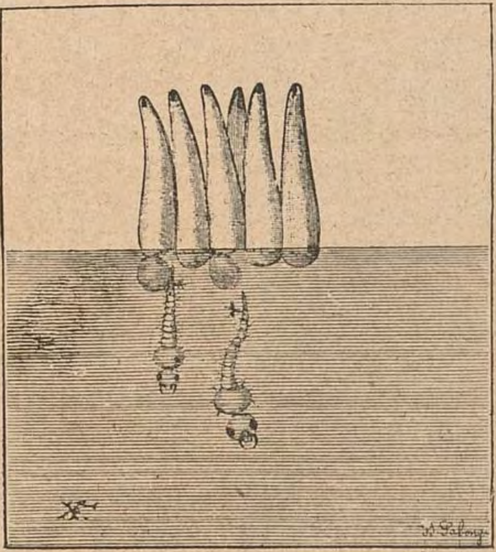

(٢) العوم خارجة من البيض

كالقارب . والبيوض صغيرة دقيقة مثل علامة النجمة في هذا النوع من الحرف او اقصر منها اذا نظرت اليها عن جنب بانت مثل الجسم المرتفع في الشكل الاول وهي مكبرة اضعافاً كثيرة والماء مرتفع معها من جانبيهِ . ويبلغ عدد البيوض التي تبيضها البعوضة الواحدة مئتي بيضة الى ثلثمئة ويكون مجموعها اصغر من فلقة العدسة

وبعد يومين او ثلاثة تنفتح افواهُ هذه البيوض وتخرج العوم او الدعاميص منها كما ترى في الشكل الثاني. والبيوض والعوم التي فيهِ مكبَّرة اربعين قطراً. وما من احد الاَّ ورأى هذه العوم في الماء الراكد وان لم يكن قد رآها قبلاً فيحسن بهِ ان يضع كاساً من الماء في غرفتهِ ويتركها اربعة ايام او خمسة فانهُ يرى فيها حينئذٍ كثيراً من العوم الصغيرة وهي تسبح وتتلوَّى

وتكبر يوماً بعد يوم . واذا اراد ان يقبض عليها فرَّت من بين اصابعهِ كالزيبق الفرار . لكنها تستحق ان يبذل الجهد في القبض عليها والنظر اليها بالميكرسكوب فاذا قبض على واحدة منها ووضعها في نقطة ماء صغيرة تحت الميكرسكوب رأى لها رأساً مستديراً وعينين سوداوين وصدراً ضخماً وبدناً كثير المفاصل تنتأُ منهُ اهلاب كالشعر

ترى في الشكل الثالث صورة عومة من هذه العوم وقد بلغت اشدها وطولها حينئذٍ نحو سنتيمتر ولذلك فالعومة المرسومة ههنا مكبرة كثيراً. ولها في طرف رأسها مما يلي فاها اشناب تتحرك دواماً فتحرك الماء وتجعلهُ يرد اليها بما فيهِ من الغذاء من الحشرات والديدان الصغيرة لان عوم البعوض شرهة مثلهُ تأكل كثيراً ولولا ذلك ما كانت تكبر سريعاً وهذه الاشناب بمثابة الايدي لها

وفي ذنب هذه العومة عضوان غريبان الواحد ظاهر فوق الماء كأنهُ زهرة الاقحوان وبهِ تتنفس لانها لا تعيش ما لم تتنفس الاكسجين من الهواء وانفها في ذنبها لا في رأسها لان رأسها مشغول بالاكل الدائم حتى تبلغ اشدها باسرع ما يمكن من الوقت مخافة ان يجف الماء

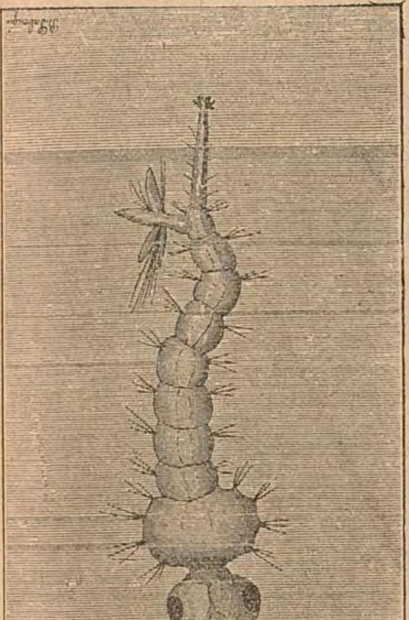

(٣) عومة مكبرة كثيراً

قبل ذلك. وليس لها رئتان مثل الانسان وغيرهِ من الحيوانات الكبيرة فيجري الهواء الذي تتنفسهُ في بدنها كلهِ ليطهر دمها . والفرق بينها وبيننا ان دمنا يجري من بدننا الى الرئتين ليتطهر فيهما بالهواء واما هي فيجري الهواء في بدنها الى دمها ليطهرهُ . وفي اعلى ذنبها اوراق او مصاريع تفتح لدخول الهواء ثم تقفل لتمنع دخول الماء . فاذا صعد ذنبها فوق الماء فتحتهُ اولاً واخرجت الهواء الفاسد منهُ وجمعت فيهِ هواء نقياً واغلقت مصاريعهُ وعادت الى قلب الماء وتحت هذا الذنب او الانف عضوٌ آخر بارز في الماء لهُ اربع شعب تتحرك في الماء وهي

بمثابة المجاذيف والدفة تسير بها في الماء وتنتقل من جهة الى أُخرى وهي اشبه باللولب في السفن ذات اللولب منها بالمجاذيف . ويظهر حسن احكامها من السرعة التي تسير فيها هذه العوم في الماء

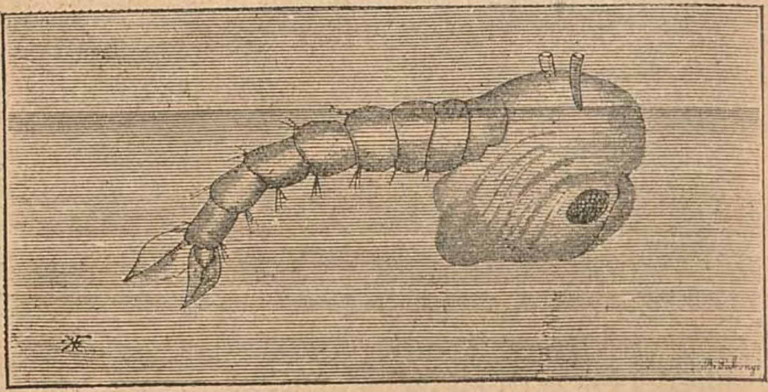

(٤) العومة قبل ان تصير بعوضة

ويمضي على العومة عشرة ايام الى عشرين يوماً وهي في هذه الحالة ثم تنتقل الى حالة أُخرى ولذة العيش بالتنقُّل فيختلط رأسها بصدرها وتصير كما ترى في الشكل الرابع وهو مكبَّر كثيراً

(٥) البعوضة حال خروجها من الماء

وتتصور حينئذٍ بصورة أُخرى وهي صورة البعوضة التي تخرج منها ولكنها تبقى مدة قبل ان تصير بعوضة تامَّة ويكون شكلها حينئذٍ على غاية القبح وينسد فمها وتصوم عن الطعام ولا تعود

تتنفّس من ذنبها كما كانت تتنفس وهي عومة بل ينبت لها قرنان في اعلى رأْسها تتنفس منهما كما ترى في الشكل الرابع. ولا يطول عليها المطال في هذه الحالة او في هذا التقمص بل ينشق غلاف ظهرها بعد يوم اويومين وتخرج منهُ بعوضة كاملة كما ترى في الشكل الخامس. وترى صورتها فيهِ مكبرة وقد خرجت من الغلاف الذي كانت فيهِ وصورتها فوق ذلك صغيرة حسب قدها الطبيعي . ويكون جسمها رطباً حال خروجها ولكنهُ يجف حالاً فتبسط جناحيها وتنتقل من عنصر الماء الى عنصر الهواء

والبعوض ذكور واناث مثل سائر الاحياء ومن الغريب ان الضار منهُ اناثهُ لا ذكورهُ فان الذكور زاهدة تكتفي بأَرْي الازهار وعصار الاثمار ولذلك لا نراها في البيوت الاَّ نادراً وتمتاز عن الاناث بالشعر الغزير في قرونها . اما الاناث فتكثر في البيوت وتمتص الدم من الانسان والحيوان وسنبين كيفية ذلك في الجزء التالي ونبين فيهِ ايضاً كيف تدخل جراثيم الحميات بدنها وتنتقل بها من المريض الى السليم

التلغراف الاثيري

خطب السنيور مركوني خطبة انيقة في هذا الموضوع في الثاني من شهر فبراير جاء فيها على تاريخ التلغراف الاثيري من اول ما عُرفت مبادئهُ الى الآن فقال ان اول مبدإٍ من مبادئهِ هو ما اشار اليهِ امبَر العالم الكهربائي من وجود الاثير في الكون وان الظواهر الكهربائية حركات فيهِ . وقد جاء العلاَّمة مكسوَل بعدهُ فاثبت هذا الرأي بالدليل الرياضي وتبعهُ العلاَّمة هرتس واثبتهُ بالامتحان . ثم تدرَّج التلغراف الاثيري في سلّم الارتقاء النظري حتى صار حقيقة عملية واستولينا بواسطتهِ على قوة عظيمة من قوى الطبيعة

ومهما اطنبنا في مدح العلاَّمة هرتس واعجبنا بقواهُ العقلية لم نوفهِ حقهُ فانهُ اكتشف اعظم اكتشاف في علم الكهربائية في النصف الاخير من القرن التاسع عشر

والعالِم الكهربائي الذي ضُمَّ الى آبائهِ في الاسبوع الماضي وهو الاستاذ هيوز كاد يكتشف التلغراف الاثيري ولو واظب على التجارب العلمية في ذلك السبيل لقُرِن اسمهُ الآن بالتلغراف الاثيري كما هو مقرون بكثير من المكتشفات الكهربائية

ولما اثبت هرتس بالامتحان منذ ثلاث عشرة سنة ان النور والكهربائية شيء واحد وابان كيف نكتشف الامواج الاثيرية وكيف نحدثها صار التلغراف الاثيري شيئاً ممكناً . ولكن

بقي اكتشاف هرتس غامضاً عن كثيرين بضع سنوات ولذلك تأخر انتاج التلغراف الاثيري منهُ

ونجاح هذا التلغراف الآن اعظم مما كنا ننتظر منذ خمس سنوات وهو دليل كافٍ على ان ما ينتظر منهُ هو في حيز الامكان ولو كنا لم نزل في البداية ولا نعلم مقدار ما نصل اليهِ في المستقبل . وكلكم يعلم ان الناس حاولوا من قديم الزمان ارسال الاخبار من مكان الى آخر من غير واسطة ظاهرة ولكن ارسالها بواسطة امواج الكهربائية المعروفة بكهربائية هرتس حديث جدا . ولا يسعني الوقت لاذكر تاريخ هذا الاكتشاف ودرجات ارتقائهِ . واذا تركت هذا التاريخ وما يتعلق بهِ من ذكر الاولية في الاكتشاف فلا يكون ذلك لان مجال البحث ضيق ولا كلام لي لاقولهُ فيهِ بل لانني افضل ان اجتزي عنهُ بذكر الدرجات الاخيرة من ارتقائهِ التي تخطاها في الشهور الاخيرة

ثم اسهب في وصف الآلة التي سميناها بالجامع وهي التي اصلحها حتى صارت تفي بالغرض ولولا ذلك لبقي التلغراف الاثيري في حيز النظر. وقال بعد ذلك اني ابنت في العام الماضي ان المسافة التي ترسل فيها الانباء البرقية من غير اسلاك تختلف كمربع ارتفاع السلك العمودي وان هذه القاعدة تقريبية فقط ثم ثبت ذلك بالامتحان فقد كنا نرسل هذه الانباء البرقية مسافة ١٨ ميلاً على ارتفاع ٧٥ قدماً ثم ارسلناها مسافة ٨٥ ميلاً على ارتفاع ١٥٠ قدماً . فلو كانت القاعدة المتقدمة صحيحة تماماً لوجب ان تكون المسافة ٧٢ ميلاً فقط لا ٨٥ ميلاً ولكنها تقريبية كما قلت وخللها في جهة الكسب لا في جهة الخسارة اي ان المسافة تزيد بازدياد الارتفاع اكثر مما تدلُّ عليهِ القاعدة المذكورة . والمكانان اللذان بينهما مسافة ٨٥ ميلاً الفاصل بينهما بحر وهو مرتفع في وسطهِ اكثر من الف قدم بتحدُّب سطح الارض فلو كانت الامواج الكهربائية تسير في خط مستقيم فقط لما امكننا ان نرسلها من مكان الى آخر يبعد عنهُ ٨٥ ميلاً ما لم يكن ارتفاع المكانين الف قدم عن سطح البحر

ثم ذكر الخطيب ان لفائف الحدَّة العادية لا تصلح للتلغراف الاثيري ولذلك اضطرَّ ان يغيرها حتى وفت بالغرض وان اللفافة التي استنبطها تزيد المسافة عشرة اضعاف عما تكون بدونها . وافاض في وصف الفوائد التي نتجت من استعمال هذا التلغراف في السفن المشرفة على الغرق وقال ان باخرة فرنسوية كانت تغرق بالامس فنجا من فيها بواسطة رسالة تلغرافية بالتلغراف الاثيري ونجا ما فيها من الشحن وثمنهُ ٥٢٥٨٨ جنيهاً كما ثبت في مجلس القضاء وهذا وحدهُ يكفي لوضع آلات التلغراف الاثيري في كل المنائر البحرية . واشار الى اهتمام الحكومة الفرنسوية بامتحان التلغراف الاثيري في بوارجها والى امتحانهِ وقت استعراض البوارج الانكليزية وقال انهُ

أُرسلت الرسائل البرقية بين تلك البوارج مسافة ستين ميلاً بين البارجة المسماة اوربا والبارجة المسماة جونو . وهذه ليست اطول مسافة يمكن التخاطب فيها لانهُ امكن التخاطب بين البوارج على مسافة ٧٤ ميلاً بحريًّا اي ٨٥ ميلاً اعتياديًّا . وتحدُّب الارض لا يمنع ارسال الاشارات البرقية فيسهل على سفينتين ان تتخاطبا بالتلغراف الاثيري ولو لم ترَ احداهما الاخرى لبعد المسافة بينهما وكون كل واحدة منهما تحت افق الاخرى

ولما التأَم مجمع ترقية العلوم البريطاني في دوفر في شهر سبتمبر الماضي ومجمع ترقية العلوم الفرنسوي في بولون تخاطبا بالتلغراف الاثيري والمسافة بينهما ثلاثون ميلاً وفيها صخور شاهقة فلم تمنع انتقال الامواج الكهربائية

ووصف استعمال التلغراف الاثيري في اميركا وقت السباق البحري الذي جرى بين اليخوت على الكاس الاميركية وقال انهُ نجح فيها ولكن نجاحهُ لم يكن تامًّا لانهُ لم يستطع ان يستعمل في اميركا كل الاصلاحات الحديثة التي اتصل اليها في اوربا قبل ان يأخذ امتيازًا بها من الحكومة الاميركية

ثم وصف استعمال التلغراف الاثيري في حرب الترنسفال وقال ان العمال صنعوا طيارات اطاروها وجعلوا يرسلون الامواج الكهربائية بها فخبط عملهم اولاً لان الطيارات لم تفِ بالغرض ولاسيما لانها كانت غير متقنة واذا طارت واحدة منها في هذا المكان فقد لا تطير الاخرى في المكان الاخر الذي يراد التخاطب معهُ ولكنهم واظبوا في اصلاح الطيارات حتى استطاعوا ان يرسلوا الاخبار بها مسافة سبعين ميلاً من ده آر الى نهر اورنج ثم تمكنوا من نصب الاعمدة فصار ارسال الاخبار اسهل من ذي قبل . وانكر ما يقال من ان عند البوير آلات للتلغراف الاثيري وقال ان الآلات التي قبضت عليها الحكومة الانكليزية في الطريق صنعت في المانيا وقد امتحنت فلم تفِ بالغرض وهو لم يبع البوير شيئًا من آلاتهِ ولا يظن ان احدًا باعهم شيئًا منها

وبعد ان وصف نجاح التلغراف الاثيري في كل التجارب التي جربت في الشهور الماضية في اوربا واميركا قال لقد تكلمت عما تمَّ حتى الآن ولا اريد ان اقول شيئًا عما يمكن ان يتم في المستقبل القريب او البعيد. ولكنَّ هناك امرًا انا واثق بهِ وهو ان النجاح الذي سيتمُّ لنا هذا العام يفوق النجاح الذي تمَّ لنا في العام الماضي. وانا واثق ايضًا ان ارسال التلغرافات الاثيرية سيشيع في البحر شيوع التلغراف البر

رواية تنكرد

القسم الثاني

الفصل الاول

مضى اسبوع الاحتفال وانفرط عقد المدعوين ولم يبقَ منهم الاَّ الاقارب الادنون الوافدون من اماكن بعيدة . وكان قلب الدوقة طافحاً سروراً وهي تترقَّب الفرص لكي تتكلم مع ابنها وتخبرهُ عمَّن اختارتها زوجةً لهُ . فارسلت تدعوهُ اليها فقيل لها انهُ في مكتبة ابيهِ فتبسَّمت وهي تحسب ان اباهُ كان يخبرهُ حينئذٍ بما دار بينهما من الحديث

وكان الدوق في مكتبتهِ واكثر ما فيها تقارير سياسيَّة وكتب شرعية وادبيّة وخرائط وتماثيل وهو جالس على كرسيهِ وقد ابعدهُ عن مكتبهِ بغتةً وبدت على وجههِ دلائل الحيرة وابنهُ واقف امامهُ متكئ بيدهِ اليسرى على طنف الموقد وهو ممتقع الوجه يظهر عليهِ الاهتمام بامرٍ ذي بال

قال الدوق لابنهِ "لقد ادهشتني فاني كنتُ احسب انك تسرُّ بذلك غاية السرور[(١)]" فحنى رأسهُ قليلاً ولم يفه بكلمة وبقي ابوهُ يتكلّم فقال

"لماذا لا تحب ان تدخل مجلس النواب الآن . ولا يخفى عليك ان الامر ليس في يدنا فاذا لم تدخلهُ اليوم فما ادرانا انك تستطيع دخولهُ غداً . ولو كان دخولهُ سهلاً مثل استئجار قطار مخصوص لابقيناهُ الى الوقت الذي تختارهُ . وكنت احسب انك تبغض الكسل وتحبُّ العمل ولا سيما الاعمال العموميّة التي تخدم بها بلادك . فاذا لم تدخلهُ الآن اضطررتَ ان تبقى ثلاث سنوات الى ان ينفضَّ ويعاد انتخاب النواب — ثلاث سنوات تقضيها في الكسل والعطلة عن العمل . ليس هذا شأن من يحبُّ بلادهُ ويتوخَّى خدمتها كما اتوسّم فيك . واذا كان لك مطامع أُخرى فهذه هي الفرصة المناسبة فان الدوق[(٢)] يفضّل اعطاء المناصب للاعيان حاسباً اياهم سياج الدولة وعماد البلاد كما قال لي. ولا انكر انهُ يمكننا ان نفيد دولتنا ولو لم نكن من وزرائها ولكن الدوق مطلق اليدين يفعل ما يشاء فاذا دخلتَ مجلس النواب الآن واعربتَ عن رغبتك في المناصب العالية فكُنْ واثقاً انهُ يقلدك منصباً منها سريعاً. وعندنا اللورد

(١) مشيراً الى عرضهِ عليهِ الانتظام في مجلس النواب على ما قيل في الفصل السابق
(٢) اي دوق ولنتون الذي كان الوزير الاوَّل

اسكدايل وهو يدبّر لنا الامر على ما نحب . وانا اكره ان اطلب شيئاً من وزير ولكنني لا استنكف ان اطلب ذلك بنفسي من الدوق في الاحوال الحاضرة". ثم خفض صوتهُ وقال "واظن انهُ اذا طلب دوق بلامنت امراً مثل هذا لا يُرَدُّ طلبهُ" . وصمتَ قليلاً وهو يحسب ان صمتَ ابنهِ دليل على اقتناعهِ ثم قال "هب ان هنْغَرْفُرْد لا يرضى ان يتخلّى عن العضوية بعد ثلاث سنوات وذلك محتمل ولو لم يكن مرجَّحاً فماذا تفعل لانهُ ما من احد يرضى منك بالازدراء وهو يضرُّ نفسهُ لينفعك وما عهدنا هذا الرجل يرضى ان يكون صورة في منصبهِ وهبْ انهُ كان كذلك فقيامهُ في مجلس النواب هذا الزمن الطويل قد رفَّع نفسهُ حتى لا يرضى بالذل . ولا يسهل عليَّ ان اخذلهُ بعد ثلاث سنوات واحمل المنتخبين على الاقتراع لك"

فقال لورد منتكيوت "لاداعي لذلك يا ابتاهُ" – قال هذا بصوت منخفض خارج من رأسهِ وفؤَادهِ يدلُّ على ان كلامهُ صادر عن عقل راجح وعواطف حيَّة . ولا ادلَّ على المرءِ من صوتهِ . فمن الاصوات السريع الرنّان الذي يدلُّ على سرعة الخاطر وتنبُّه العواطف ومنها العميق البطيءُ الذي يدل على عقل ثاقب ورأي صائب . واندر الاصوات واحسنها وقعاً صوت يجمع بين السكينة والصراحة فتفعل نغمتهُ بالنفوس اكثر ممَّا يفعل بها سحر العيون . "لاداعي لذلك يا ابتاهُ ولا اخفي عليك اني لا اكون بعد ثلاث سنوات ارغب مني الآن في دخول مجلس النوَّاب"

فنظر اليهِ ابوهُ نظر الدهشة وقال "ان المستر فوكس(٣) دخل المجلس قبلما بلغ سن الرشد وتربَّع في دست الوزارة وهو في ريعان الشباب وكذلك السر روبرت بيل انتظم بين رجال الدولة وهو حَدَث . وكثيراً ما سمعتُ الثقات مثل لورد اسكدايل يقولون ان الانسان قد يتكلَّم في مجلس النوَّاب قبلما يحق لهُ الكلام فيهِ ولكنهُ لا يبكّر في دخولهِ مهما كان صغير السن"

فقال ابنهُ "نعم اذا شاء ان يفلح في مجلس النواب . والتبكير في كل شيءٍ مدعاة للنجاح فيهِ اما انا فلا رغبة لي في ذلك"

فقال الدوق "ولكنني لا استحسن دخولك مجلس الاعيان من غير ان تدخل مجلس النواب اولاً لان من دخل مجلس الاعيان وهو لم يدخل مجلس النواب يكون كالطائر بلا ريش"

فقال ابنهُ "عسى ان لا ادخل مجلس الاعيان يا ابتاهُ الاَّ بعد زمن طويل جداً(٤) ان دخلتهُ"

(٣) وزير انكليزي مشهور دخل مجلس النواب وعمرهُ ١٩ سنة وصار وزيراً وعمرهُ ٢٣ سنة

(٤) كناية عن طلب طول العمر لابيهِ لانهُ لا يدخلهُ الاَّ بعد موت ابيهِ خلفاً عنهُ

فقال الدوق " ان دخولك مجلس الاعيان يوماً ما امرٌ محتوم لا مردَّ له "
فقال ابنهُ " ولكن هبْ ان الدوق (اي دوق ولنتون) لم يفلح في حفظ السيادة للاعيان فماذا يكون شاننا"

فهزَّ الدوق كتفيْهِ وقال " ليس من شاننا ان نفرض هذه الفروض وعسى ان لا يحاول احد تغيير النظام الحاضر لان عظمة هذه البلاد باعيانها"

فقال ابنهُ " اذاً ملوكنا لم يفعلوا شيئاً لعظمتنا "

الدوق — "بلى فعلوا ما يُطلب منهم"

ابنهُ — " وقد زالت سطوتهم الآن ولا يبعد ان تزول سطوتنا نحن ايضاً بعد ان نفعل ما يُطلب منا "

الدوق — " اراك تتكلم بلسان الاحرار فلماذا ذلك "(٥)

ابنهُ — " ليس هذا يا ابي فاني لم ابدِ رأْياً حتى الآن "

الدوق — " اودُّ ان اعرف ما هو رأْيك ياولدي او ما تتمناهُ "

ابنهُ — " أَن افعل ما يجب عليَّ فعلهُ "

الدوق — " احسنتَ وانت عمود في هذه الدولة فاسندها جهدك"

ابنهُ — " يا حبذا لو انبأَني احد ما هي الدولة فان الاعمدة التي تشير اليها لا تسند شيئاً وهي متداعية الى السقوط وجوهر فلسفتها ان تُترك الامور على حالها "

الدوق — "ولكننا سننجو باعتمادنا على حكمة الامة"

ابنهُ — " ممَّ ننجو "

الدوق - "من الاضمحلال الذي يقع باعيان البلاد وهي تنتقل من حالة الى اخرى"

ابنهُ — " وما هي الحالة التي تحسب البلاد منتقلة اليها "

الدوق — "هذه مسأَلة يعجز احكمُنا عن الاجابة عنها "

ابنهُ — " ولكن يحق لمن كان جاهلاً مثلي ان يبحث فيها "

الدوق — " نعم ولا شيءَ يعينك في هذا البحث مثل اتصالك برجال السياسة "

ابنهُ — " لكي اشاركهم في الخطاء والاعتساف اما انا فلم أُغوَ حتى الآن واودُّ ان ابقى بعيداً عن الغواية "

---

(٥) يظهر من كلام دوق بلامنت انهُ كان من حزب المحافظين مثل اكثر اعيان الانكليز ولهذا استغرب كلام ابنهِ

الدوق — " وتبقى عطلاً عاجزًا عن العمل "

ابنهُ — " أيكون المرءُ عاجزًا عن العمل اذا ابى ان يخبط خبط عشواء في ظلام دامس "

الدوق — " فماذا تريد ان تفعل اذًا وهل لك خطّةٌ تودُّ السير فيها "

ابنهُ — " نعم "

الدوق — " احسنتَ ومهما كانت هذه الخطَّة فثق اني ابذل جهدي في انالتك ما ترغب فيهِ لاني واثق انك لا تطلب الاَّ اشرف المطالب وانبلها "

ابنهُ — " يا حبذا ولكن اين الشرف واين النُّبل "

الدوق — "ولكنك طالبٌ امرًا ما فقل لي ما هي مطالبك اخبرني بها من غير كتمان كما يخبر الصديق صديقهُ "

فادنى لورد منتكيوت كرسيًّا من ابيهِ وجلس اليهِ وهو يقول " كيف اكتم عنك امرًا يا ابتاهُ وانت عين الحب والإخلاص وكان الواجب عليَّ ان لا ارتاب في وجود الشرف والنبل وانت امامي "

فقال الدوق " ان الاولاد الذين مثلك يشرّفون آباءهم "

ابنهُ — "ليس ذلك مضطردًا واما انت يا ابي فقد كنت لي اكثر من اب واني لأُحبُّك واحب امي حبًّا اظنهُ اندر في هذا العصر منهُ في العصور الغابرة ويزيد شعوري بهذا الحب الآن لاني عازم ان اطلب الابتعاد عنكما الى حين "

فاصفرَّ وجه الدوق واتكأَ على كرسيهِ ولم يفه بكلمة وصمتَ ابنهُ قليلاً ثم قال " لقد اشرتَ عليَّ اليوم ان انتظم في سلك رجال السياسة وما انا لأنوء تحت الحمل الثقيل ومقامي وطبعي يدفعانني الى حمل الاحمال الثقيلة والقيام باعبائها . وهذا الامر ليس جديدًا عندي بل قد فكّرتُ فيهِ طويلاً فلم اجد اني استطيع ان احافظ على السياسة الحاضرة ولا رأي لي ببقائها على حالها ولا اظنها تبقى طويلاً لانها ليست قائمة على قواعد وطيدة بل لا قاعدة لها. فما هو الحق السياسي وما هي آداب الاجتماع هل هي امور حقيقية او مصطلحات وهمية . وان كانت امورًا حقيقية فاين مقرُّها ولمن الحقُّ في الولاية ولماذا حرمنا ملوكنا من حقوق كانت لهم . ونحن الاعيان موجودون في مناصبنا لان الامة راضية بوجودنا فيها . والامة تعدُّ نفسها كلاً شيء والحقوق التي تعطاها وقت انتخاب الاعضاء لمجلس النواب تنازَع فيها دوامًا وتُغيَّر على اساليب شتى فما هو هذا الحق السياسي المتغير. وكذلك آداب الاجتماع تختلف باختلاف البلدان والمدن والشوارع فما نعدهُ فضيلة هنا يُعدُّ رذيلة في مكان آخر "

الدوق — " يجب ان ننظر الى الامور بوجه عام فان حالة انكلترا العامة اصلح من حالة اية مملكة كانت وما من احد ينكر ان الحرية السياسية عندنا اكثر مما هي عند غيرنا والآداب الاجتماعية ارقى والنجاح المادي اعظم "

ابنهُ — " قد يمكنني ان انازع في ذلك كلهِ ولكنهُ لو ثبت ما نقض شيئاً مما قلتهُ لانهُ اذا كانت البلدان الاخرى افسد من بلادنا لم تصطلح حالنا بل قد تزيد فساداً لاننا لا نرى امامنا بلاداً صالحة نقتدي بها "

الدوق — " لا شبهة في ان انكلترا مفلحة الآن اكثر من كل البلدان انظر سكك الحديد وانظر كم فعلنا لاصلاح شأن المساكين وقد كثرت الاعمال وزادت الاجور "

ابنهُ — " من المحتمل ان سكك الحديد افادت جمهور الفقراء كما افادت اعضاء مجلس النواب . ولكني لا ارى في زيادة الاجور ضامناً لراحة الجمهور وما ادرانا ان زيادة السعة ترقي الآداب وتزيد الفضائل فان المال قد افسد الكبراء واليهِ تنسب شرور الخاصة فكيف يكون فعلهُ في العامة على الضد من فعلهِ بالخاصة ولماذا لا نقول ان زيادة السعة تفسد العامة كما افسدت الخاصة وكيف يحق لنا ان نخلط بين سعادة الامة وثروتها "

الدوق — " لا تنسَ اننا عائشون عيشة صناعية لا طبيعية "

ابنهُ — " طالما سمعتُ ذلك يا مولاي ولكنني لا ارى شيئاً من مزايا الصناعة في احوالنا فان الصناعة تستلزم النظام والترتيب وانطباق النتائج الحميدة على المبادىء الفاضلة اما نحن فقد فقدنا كل انتظام ولم نعُد امة محكمة العرى ولكن صرنا شعباً تجمعهُ آثار التقاليد القديمة التي نحاول نزعها يوماً فيوماً "

الدوق — " ولكن ماذا يمكنك ان تفعل يا ولدي ايمكنك ان تغير الاحوال التي وُجدنا فيها "

ابنهُ — " كلاَّ يا ابي ولا انا طامع في ذلك وغاية ما اطلبهُ منك ان لا تضطرَّني الى مشاركة غيري في تكثير الفساد المحيط بنا "

الدوق — " انت وليُّ امرك وانا اشور عليك شوراً ولا امرك امراً والله الهادي الى سواء السبيل "

ابنهُ — " اواه لو ان ملاكاً ينزل من السماء ويزور بيتنا "

الدوق — " ما بنا حاجة اليهِ وعندنا ارشاد من هو اسمى من الملائكة "

ابنهُ — " لو كان ارشادهُ كافياً ما وعد تلامذتهُ بمرشد آخر يأتي بعدهُ . فلا بدَّ من

مرشد . نعم يا ابتاهُ هذا الذي اطلبهُ واسعى اليهِ ولا بدَّ من الفراق . لا بد من ان اتركك واترك والدتي العزيزة اترك هذين الوالدين الحنونين اللذين بهما تتعلق كل عواطفي وآمالي. ولكني ارى نفسي مضطرًّا ان البّي نداء صوتٍ سمويٍّ . فلا تغضب عليَّ ايها الوالد الحنون بل سامحني وساعدني ". قال ذلك وطرح نفسهُ بين ذراعي ابيهِ

فضمهُ ابوهُ الى صدرهِ ولم يستطع الكلام لشدة انفعالهِ لكنهُ كان يقول في نفسهِ انهُ سيفارقنا وقد سئم الاقامة في البيت سئم الوحدة بعد ان قرأ كثيرًا وافتكر كثيرًا . ولقد اصاب اسكدايل لما اشار عليَّ منذ سنتين ان ارسلهُ الى باريس لكنَّ امهُ لم ترضَ وحقها ان لا ترضى لان ارسالهُ الى باريس يعرضهُ لمخاطر كثيرة . ولا شيء اصلح لهُ من مجلس النواب فانهُ يجد فيهِ عملاً وسلوى . ولا بدَّ من ان نتلافى الامر الآن بالتي هي احسن . يريد السفر ولا بأس بالسفر ولكن ماذا يحلُّ بنا وهو ولدنا الوحيد . كيف تصبر كاترين على فراقهِ انها تموت كمدًا اما انا فلا بدَّ لي من الصبر وسأرسل معهُ اناسًا يعتنون بهِ ويدرأُون عنهُ المخاطر ارسل معهُ براس فانهُ عارف بممالك اوربا وكان في حرب اسبانيا وارسل معهُ طبيبًا ماهرًا ولا بدَّ من اخبار امهِ ولكن لا بد من استعمال الحكمة في ذلك لئلا يفاجئها الخبر مفاجأةً

هذه الخواطر خطرت كلها على بال الدوق في اللحظات القليلة التي كان فيها ضامًّا ابنهُ الى صدرهِ ثم لما عاد ابنهُ الى كرسيهِ قال لهُ "اذًا انت تريد السفر ياولدي" فاشار بالايجاب

الدوق — "ذلك يثقل على امك كثيرًا حتى لا اقول شيئًا عن نفسي فانك تعلم عواطفنا ولكن لا حق لنا ان نجعل ما نشعر بهِ عقبة في سبيلك وان فعلنا فنكون قد فضلنا نفسنا عليك اما من حيث مجلس النواب فساقابل هنغرفرد هذا الصباح واقنعهُ ليؤجل استعفاءهُ الى الخريف حتى تعود من سفرك وذلك خير لك لانك تكون قد شاهدت العالم فتدخل المجلس في العام المقبل"

ولما اتمَّ الدوق كلامهُ بدت على وجه ابنهِ علامات الحيرة فاحنى رأسهُ وبقي صامتًا. وقام الدوق ونظر الى ساعتهِ وقال انهُ يود ان يأتي براس ويتعشى معهم لانهُ عارف بالبلدان الاوربية ويعرف لغات كثيرة حتى الاسبانية ثم قال "اما اسبانيا فليس فيها ما يشوق السياح اليها ولكن لا بدَّ من الذهاب الى فرنسا وفرنسا هي باريس ولا بدَّ من ان تذهب الى هناك اولاً وان كان ابن عمك هري هوَرَد هناك فهو يريك كل شيءٍ فاذا ذهبت الى السفارة وكان براس معك هانت عليك باريس . ثم تذهب الى ايطاليا واظنك قاصدًا اليها دون سواها لكن امك لا تسرُّ بذهابك الى رومية . ويقال ان لا بدَّ للمرءِ من ان يرى رومية

قبل موته. اما انا فلم ارها ولم اعبر البحر الاَّ الى ارلندا لان جدك منعني من السفر غير ان منعهُ لي لم يكن للاسباب التي لاجلها ابقيناك في البيت حتى الآن . وهب انك شتوت برومية فيمكنك ان تعود الينا في الربيع التالي ولكن لا بدَّ من اقناع امك اولاً لترضى ببقائك في رومية ولا بدَّ ايضاً من ارسال برنارد معك فيذهب معك براس وبرنارد وطبيب وحينئذٍ يسهل علينا اقناعها فاذا ارسلنا معك براس وبرنارد وطبيباً ماهرًا وكان هري هورَد في باريس وزوَّدناك باحسن مكاتيب التوصية زالت اكثر مخاطر السفر"

فقال لورد منتكيوت(٦) "لا رغبة لي في زيارة باريس يا ابي"

الدوق — "الحمد لله الحمد لله لقد افرجتَ بعض كربتي"

ابنهُ — "ولا رومية"

الدوق — "احسنت احسنت يا ولدي وازلت حملاً ثقيلاً عني ولم اخبرك بذلك قبلاً لانني لم اشأ ان انغص عيشك ولكن لو علمت امك انك ذاهب الى رومية لتنغّص عيشها لا لبعد المسافة ولا لفساد الهواء هناك بل لان آراءها كما تعلم" ولم يتم كلامهُ فقال لهُ ابنهُ "ولا انا عازم على السفر حسب مفهوم الكلمة وانما قصدي السياحة قصدي الذهاب الى الارض المقدسة الى بيت المقدس"

فاضطرب الدوق وجعل يقول "الى الارض المقدسة الى بيت المقدس" وهو محدق بنظرهِ اليهِ

ثم عاد لورد منتكيوت الى الكلام وجعل يتكلم بتأنيهِ المعتاد فقال "نعم يا مولاي الى الارض المقدسة الى بيت المقدس فان الخالق عزَّ جلالهُ اعلن نفسهُ لمخلوقاتهِ في تلك البلاد فهي مقدَّسة وفيها مزايا ليست في غيرها وهي التي جعلت ممالك اوربا تحاول الاستيلاء عليها مرارًا كثيرة في العصور الوسطى . وقصر منتكيوت هذا ارسل اميرًا من امرائهِ اليها فوصل الى القبر المقدَّس وجثا على ركبتيهِ امامهُ ثلاثة ايام بلياليها . وقد مرَّ على ذلك ستة قرون فلا عجب اذا مضى واحد آخر منا الآن لزيارة ذلك القبر فاني اودُّ ان اجثو على ركبتيَّ هناك وارى التلال المقدسة وارفع صوتي الى السماء واسأل الله عمَّا يجب ان افعلهُ وعمَّا يجب ان اومن بهِ"

فنهض دوق بلامنت وجعل يمشي في الغرفة ذهاباً واياباً وهو غائص في بحار الافكار ثم وقف واستند الى خزانة الكتب وقال "ان هذا الطلب الذي تطلبهُ مني غريب جدا لم اتوقعهُ منك قط فسافكّر فيهِ ملياً واحاول ادراك ما تطلبهُ وابذل جهدي لافعل ما هو خير

(٦) هو لقب الابن كما تقدم في الجزء السابق

لك وابقى مفضلاً مسرَّتك على مسرَّتنا . اما الآن فلا يمكنني ان اجيبك لا سلبًا ولا ايجابًا بل لا بدَّ لي من امعان النظر . ثم ان امك تريد ان تكلمك في امور اخرى فلا تطلعها على هذا الامر حتى اطلعها عليهِ انا . والآن لا بدَّ لي من ان اركب وامضي الى بلامنت وسافكر في هذا الامر وانا سائر في الطريق واذا جاء براس فادعهُ ليتعشَّى معنا وليكن الله معك "

وخرج الدوق من المكتبة وبقي ابنهُ فيها غائصًا في بحار الافكار وكان قد املى على ابيهِ في دقائق قليلة خلاصة ما شغل بالهُ ثلاث سنوات متوالية . ثم التفت واذا امهُ واقفة بجانبهِ فانهُ بلغها ان زوجها خرج من القصر وهذه اول مرة خرج فيها من غير ان يراها قبل خروجهِ فقامت تفتش عن ابنها لكي تهنئهُ بدخولهِ مجلس النواب وتخبرهُ انها اختارت لهُ ابنة خالهِ زوجةً وكان قلبها طافحًا سرورًا وكيف لا تسرُّ المرأة بوحيدها وهي تراهُ محفوفًا بالسعادة والهناء وقد عزم على الانتظام في سلك رجال السياسة الذين يخدمون بلادهم و يرفعون شانها والاقتران بفتاة تثق انها تملأُ بيتهُ بهجةً وسرورًا . ففتحت باب المكتبة وقد صبغت حمرة الطرب وجنتيها وقالت أأنت هنا فقد كنت افتش عنك يا تَنكْرِد

الفصل الثاني

عاد الدوق مساء من قصر بلامنت ودخل غرفة لبسهِ لكي يلبس فيها ثياب المساء ثم جاءت زوجتهُ وقرعت الباب ودخلت وعاتبتهُ على خروجهِ من البيت من غير ان يخبرها وقالت ان هذه اول مرة فعل ذلك . وكان قد حسب انها اتت لتكلمهُ في امر ابنهِ فلما رآها اتت لتعاتبهُ فُرِّج عنهُ وابرقت اسرَّتهُ وقال لها بلغني ان براس آتٍ ليتعشَّى معنا وانا مسرور بذلك لانني اريد ان اراهُ في امر ما

فلم تجبهُ على كلامهِ بل بقيت واقفة كأن بالها مشغول بامر آخر ولما رأت انهُ بقي يتكلم عن براس قالت لهُ ما لنا ولبراس الآن هات اخبرني ما منع تنكرد من دخول البارلمنت (مجلس النواب)

فاضطرب في امرهِ لانهُ لم يكن يعلم كم عرفت مما دار بينهُ وبين ابنهِ غير انها جلت لهُ الامر بقولها " انني كنت امشي مع تنكرد واشرتُ من طرفٍ خفي الى كل ما دبرناهُ لهُ وسألتهُ عما يراهُ في ابنة خالهِ فقال انهُ يوافقنا على انها احسن البنات اللواتي عرفهنَّ واكثرهنَّ تهذيبًا فحاولت ان اقنعهُ بمناسبتها لهُ ولكنني لم احثهُ على التسرُّع في ذلك لانني لا اريد ان يقترنا قبل الخريف واشرت عليهِ ان يعاشرها كثيرًا مدة اقامتهِ في لندن وقت اجتماع مجلس النواب

ثم يزورها حينما تعود الى ارلندا كما كنتَ تزورني. وبينما انا اشرح لهُ كيف يجب ان يتحفظ من البرد وقت خروجهِ من المجلس نصف الليل وماذا يجب ان يأكل حينئذٍ قال لي انهُ غير عازم على دخول المجلس الآن وانهُ غير آسفٍ على ذلك لانهُ يريد ان يسافر قليلاً . فما معنى ذلك كلهِ قُلْ لي لان تنكرد لم يخبرني شيئاً ولما لججت عليهِ ليخبرني قال اننا سنبحث كلنا معاً في هذا الموضوع"

فقال الدوق "نعم سنفعل ذلك ولكن ليس الآن لانهُ قد حان وقت العشاء ولكنني اقول لكِ بالاختصار انهُ بدت امور قد تمنع هنغرفرد من الاستعفاء الآن . وبما ان تنكرد يميل الى السفر فنحن عازمون ان نتبصر في الامر لعلَّ السفر يكون اصلح لهُ من الاقامة هنا الى ان يتيسر دخولهُ مجلس النواب"

"اصلح لهُ" — لا يمكنني ان افهم اي صلاح في الذهاب الى باريس ورومية حيث يذهب الشبان الذين يسافرون من هذه البلاد . فان الذهاب اليهما هو نفس الشيء الذي بذلت جهدي من حين ولادتهِ الى الآن لامنعهُ عنهُ لانهُ اذا ذهب اليهما تعرَّض للهلاك جسداً ونفساً فان باريس تتلف صحتهُ ورومية تغير معتقدهُ"

فتبسم الدوق وقال لها اني اشدُّ منكِ ثقةً بتنكرد ولكن كوني مطمئنة البال فانهُ قد قال لي هذا الصباح انهُ لا ينوي الذهاب الى رومية ولا الى باريس

فتنفست الصعداء وقالت "اذاً اذا اراد ان يسيح سياحة قصيرة في هولندا فلا بأْس عليهِ لان البلاد بروتسطنتية وليس فيها من المفاسد ما في غيرها"

فقال "سننظر في هذا الامر مليّاً الليلة" ثم مدَّ لها ذراعهُ ونزلا الى غرفة الضيوف

وكان الكولونل براس هناك وهو من القوَّاد الذين كانوا في حروب اسبانيا فابلى بلاءً حسناً ودخل باريس ظافراً وهو بدين طويل القامة مجدول العضل وجههُ مشرَّب حمرةً وشعرهُ غزير وخطهُ الشيب . وهو من رجال منتكيوت ولد هناك وورث بيتاً كبيراً في المدينة واملاكاً في جوارها ولما اتمَّ خدمتهُ في الجيش باع معاشهُ وعاد الى مسقط رأْسهِ فجعلهُ الدوق قائداً لفرسانهِ فاصلح شأْنهم حتى صاروا من افضل فرسان البلاد الانكليزية . وكان من امهر الناس في الرماية والفراسة ومن اكثرهم ظرفاً والينهم عريكةً واقواهم بداهةً وكان يعجب بالدوق والدوقة الى حد العبادة ويحسبهما افضل خلق الله عن اعتقاد واخلاص لا عن هوًى وطمع في النفع. وكأَنهُ كان ذراع الدوق اليمنى فكان الدوق يستشيرهُ في كل امور الايالة وقد سلَّم اليهِ قيادة الفرسان وجعلهُ رئيساً لاركان حرب الجيش المستحفظ (المليشيا) ولم يكن يرقي ضابطاً

الاَّ برأْيهِ . وكان لهُ شأْن رفيع في الايالة كلها وقد اختير تلك السنة محافظاً لمدينة منتكيوت ورئيساً للجنة الاحتفال ببلوغ لورد منتكيوت سن الرشد وهو الذي اهتمَّ بالالعاب النارية ويقال انهُ هو الذي رسم اشكالها

وكان هناك ايضاً المستر برنارد معلم تنكرد وهو قسٌّ عالم كبير في المسائل الدينية يبلغ الخامسة والثلاثين من العمر وكان ساكناً في قصر منتكيوت يقوم بالخدمة الدينية فيهِ ويعتني بالمكتبة ويستخدمهُ الدوق احياناً في كتابة مكاتيبهِ

وكانت فيهِ عائلة منتجوَى ودُعي ابن هنغرفرد فجلسوا كلهم على المائدة جلسوا سكوتاً على خلاف المعتاد فان الدوقة كانت تفكر في ما رأَتهُ من ابنها والدوق في ما اطاعهُ عليهِ وبنات منتجوَى كن قليلات الكلام طبعاً وامهنَّ كانت جالسة بجانب الدوق فلم تستحسن ان تكلِّم احداً غيرهُ وزوجها نهم ينسى غيرهُ وهو يأْكل . وتكلم لورد منتكيوت مع ابن هنغرفرد وكان جالساً امامهُ على المائدة لكن هذا كان يتكلم مع ابنة منتجوَى فاجاب لورد منتكيوت على كلامهِ اجوبةً مختصرة ولم يزد فانقطع الكلام بينهما

ولما قُدِّم اللون الثاني من الطعام ورأَى الدوق ضيوفهُ صامتين كأَنَّهم في مأْتم اراد ان يصرفهم عن تلك الحال فالتفت الى الكولونل براس وكلَّمهُ في موضوع يلذُّ لهُ وينبه فيهِ قوة الجدَل وكان جالساً عن يسار الدوقة فتلقَّى الموضوع بسرور وجاول الدوق في الحديث بمهارة فارسٍ مجرّب فعلت اصوات الجماعة وكثر لغطهم واخذوا يتنادمون و يتعاطون كؤُوس الراح ولما رأَى لورد منتكيوت ان اباهُ يريد ان يحدّث ضيوفهُ و يسرُّوا قاد ابنة منتجوَى الى حديث يسرُّها فجعلت تحدثهُ عمَّا جرى لها في الصباح وهي خارجة الى النزهة راكبة وهو يظهر الاستغراب مرة والارتياب اخرى وهي تحاول اقناعهُ واثبات قولها الى ان اشتغل الكل بالحديث وطابت نفوسهم . ودار الحديث بين الدوق والكولونل علي السر رسل ملباس وانكسار رجلهِ واستدعائهِ الدكتور روبي . قال الكولونل " وقد استدعاهُ السر رسل دون غيرهِ من مشاهير الجراحين لانهُ يعرف مزاجهُ ولا يحسن باحد ان يسلم نفسهُ الاَّ الى طبيب يعرف مزاجهُ فانني انا كنت فقدت رجلي مرةً في حرب اسبانيا لولا شدَّة حذري فقد جُرحت جرحاً طفيفاً في واقعة الميدا وانا اطارد العدو ولكن لا يحسن بنا ان نتكلم عن هذه الامور امام السيدات "

فقال لهُ لورد منتكيوت " ان الامر على ضد ذلك فانهُ لا شيء احب الى السيدات من وصف الحروب وقد قالت لي مس منتجوَى امس انهُ لا شيء اصعب عليها من ان تتصوَّر كيفية القتال "

فقال الكولونل " ذلك لان اكثر الذين وصفوا المعارك ليسوا من قوّاد الحرب . ولكن المعارك التي وصفها نبيير جليّة كلها و يمكنني ان اصور كل معركة منها على هذه المائدة وهي تاريخ عظيم غير ان هذا التاريخ لا يخلو من النقص مثال ذلك ان واقعة الميدا التي اشرت اليها وكدت اخسر رجلي فيها لم تذكر فيهِ " —

الدوق — " ولكن رجلك لم تصب بمكروهٍ "

الكولونل — " نعم بقيت سليمة ودخلت بها باريس وتلك حادثة تستحق الذكر واؤكد لكم انني خلَّصتُ رجلي من القطع لاني اعرف مزاجي . ولذلك ارجو ان تسلم رجل السر رسل ملباس لان الدكتور روبي يعرف مزاجهُ وانا لو كنت في جبل طارق ومرضت هناك لكنت ارسل استدعي هذا الدكتور لانهُ يعرف مزاجي ومعرفة المزاج نصف العلاج "

ولما كان الكولونل يتكلم عن الدكتور روبي كان الدوق يفكر في امرهِ ويقول هذا طبيب يعالجنا كلنا و يعرف مزاج ابني فلا بدَّ من ارسالهِ معهُ مهما كلفني ذلك من النفقات . وجعل يحسب دخل الدكتور روبي في بالهِ فقال ان دخلهُ لا يزيد على خمس مئة جنيه في السنة فادفع لهُ الف جنيه ونفقات السفر كلها ولا اظن انهُ يغيب اكثر من سنة فلا يتركهُ زبائنهُ في هذه المدة القصيرة لان اكثر اعتمادهِ على قصرنا واذا تركوهُ عوَّضناهُ من الخسارة ولا بدَّ من ان يكون طبيب تنكرد عارفاً بمزاجهِ لان معرفة المزاج نصف العلاج

الفصل الثالث

الدوقة وهي تفرك يديها اسىً — " واتعساه واحرَّ قلباه "

الدوق — " خففي عنكِ يا عزيزتي "

الدوقة — " كان يجب عليك ان تمنع ذلك ولا تدعهُ يصل الى هذا الحد "

الدوق — " ولكنهُ فاجأَني مفاجأَةً وكنت خالي الذهن منهُ كما كنتِ انتِ خالية الذهن منهُ وكيف كنتُ استطيع ان اعرف ما يدور في بالهِ "

الدوقة — " فما النفع اذاً من سلطتك عليهِ التي تقول لي دائماً انك تعتمد عليها فلو كنت انا اباهُ لكنتُ عرفتُ مخبآت نفسهِ "

الدوق — " قد تكونين مُصيبةً ولكن انت امهُ وهو يحبك كما يحبني وانتِ دائماً معهُ ويجب ان تعرفي اميالهُ من حيث هذا الموضوع اكثر مما اعرفها انا ومع ذلك بقي مقصدهُ مخفياً عنكِ "

الدوقة — " ظننت مرةً انهُ يميل الى بدعة البيوزيين فكلمتهُ في هذا الامر فوجدت انني غلطانة . وانا واثقة انني لم آلُ جهداً ولا اذَّخرتُ وسعاً في غرس المبادىء الدينية في نفسهِ. وفي العام الماضي اعطيتهُ مجموعاً كبيراً من الكتب الدينية والتفاسير فكانت النتيجة انهُ يريد ان يتركنا ويمضي الى الارض المقدسة الى بلاد هواؤُها يقتل سكانها بلاد حلّت عليها لعنة الله منذ اكثر من ثمانية عشر قرناً وهي تزيد محلاً وخراباً سنة بعد سنة. كيف يمضي ابننا اليها قد خسرناهُ قد خسرناه واحسرتاهُ واحسرتاهُ "

الدوق — " هلمَّ نتبصّر في الامر قليلاً يا عزيزتي "

الدوقة — " كيف نتبصر وانت قد سلّمت لهُ بالسفر وقضيت الامر ولم تأتِ الآن لتستشيرني بل لتخبرني بما قرَّ عليهِ القرار لتخبر هذه الام المسكينة بما يصدع فؤادها ويمزق احشاءها. ما اتعس الامهات وما اشقاهنَّ "

الدوق — " لا تتكلمي كذلك يا كاترين "

الدوقة — " كيف اتكلم اذاً وماذا اقول "

الدوق — " قولي كل شيءٍ غير هذا فانهُ لا يُقطَع خيط في هذا القصر بغير رضاكِ "

الدوقة — " كن واثقاً اذاً انني لا اسمح لتنكرد بهذه السياحة "

الدوق — " اذاً لا يمضي ابداً لا يمضي برضايَ فساعديني يا عزيزتي فيتم كل شيءٍ حسب مبتغاكِ ولكنني اكره ان نعامل ابننا بالجفاء والقسوة ولا اريد ان نستعمل سلطتنا الوالدية الاَّ بعد ان تنفد كل الحيل فنلجأُ اولاً الى عقلهِ وقلبهِ ثم الى ادلتكِ وحبهِ لنا عسى ذلك ان يكفي لاقناعهِ "

الدوقة — " لقد قلتَ لي انك جادلتهُ فلم يقنع "

الدوق — " نعم ولكنكِ اعرف مني بهذه المواضيع بل اعرف مني بكل المواضيع وانا واثق بمهارتكِ ولذلك لم اقطع الرجاء من اقناعهِ بالعدول عن عزمهِ "

الدوقة — " اذاً ساقول لهُ اننا لا نسلم لهُ بهذه السياحة مطلقاً "

ولما قالت ذلك نظر اليها الدوق نظر الحيرة وقال بعد ان فكر في الامر " ان كان هذا هو رأيك فهلمَّ ننظر فيهِ قبل ان نعمل بموجبهِ لانهُ قاطع لكل جدال . وزد على ذلك اني ارى تنكرد مدفوعاً بدافع قوي جداً يتعذَّر التغلُّب عليهِ وقواهُ النفسيّة متنبهة كلها تنبهاً شديداً جداً لا تعرفين مقدارهُ ولا تعرفين مما رأيتِ منهُ مقدار انفعالهِ . وقد كنت احسبهُ رقيق القلب لين العريكة فوجدتهُ في هذه المسألة صعب المراس جداً فاذا جزمنا الآن بمنعهِ عن السفر فلا

عجب اذا سافر بغير اذننا "

الدوقة " هذا ضرب من المحال فانهُ لم يعصِ امرنا مرةً في عمرهِ " قالت ذلك وهي تنتفض في كرسيها وعلى وجهها امارات الحزم والثقة

الدوق — " وهذا سبب آخر يمنعنا من اخذ الامور بالشدة ولماذا لا نغضي عن محاولتهِ تفضيل ارادتهِ على ارادتنا هذه المرَّة الوحيدة في العمر "

الدوقة — " انهُ لم يعاشرنا كثيرًا في هذه السنوات الثلاث الاخيرة وفيها تتكيَّف اخلاق الانسان . ولكن كان يجب على المستر برنارد ان يرى فيهِ هذا الميل وينزعهُ منهُ او ينبهنا اليهِ فلنذاكرهُ في هذا . دق الجرس وقل للخام ليدعوهُ الينا "

وكان المستر برنارد في المكتبة فحضر حالاً ولما وقعت عينهُ عليهما رأى في وجهيهما ما يدل على امرٍ ذي بال فاخبرهُ الدوق بخلاصة ما جرى وكانت الدوقة تذكر الامور التي يفوتهُ ذكرُها على اسلوب اوقعَ الخبر في نفسهِ اعظم وقع

فدهش مما سمع وجلس امامهما جاحظ العينين مفتوح الفم وجعل يردد قولها " الارض المقدسة الارض المقدسة " واكدَّ لهما انهُ لم يسمع من لورد منتكيوت لا صريحًا ولا تلميحًا ما يشير الى رغبتهِ في الذهاب الى تلك البلاد ولا انهُ يرى الآراء الذي ذكرها ابوهُ

الدوقة — " ولكنك كنت رفيقهُ ومعلمهُ عدة سنوات ولا سيما في السنوات الثلاث الاخيرة السنوات التي تتكيف فيها اخلاق الانسان وتتخذ صورة واضحة وكنت تراهُ اكثر مما نراهُ نحن ولا بدَّ من انك كنت تعلم ما يدور في عقلهِ ويختلج فؤَادهُ وكان يجب ان تعلم ذلك وتحذرنا منهُ "

ولما قالت ذلك رأى ان لا بدَّ لهُ من الدفاع عن نفسهِ فقال لها " يا مولاتي ان ابنك الكريم قد نال اسمى الجوائز المدرسية وانا اعلمهُ وكانت آدابهُ خالية من كل عيب ومعتقداتهُ الدينية كذلك وهذه الفكرة التي بدت منهُ الآن تدلُّ على شدَّة تدينهِ "

فصرخت الدوقة والدموع ملءُ عينيها " كيف نصبر على فراق ولد مثل هذا " . فامسك الدوق بيدها وقال للمستر برنادر " نحن شاكرون لك كثيرًا انا والدوقة ولا نأسف الاَّ لاننا لم نعرف من طباع ابننا اكثر مما عرفنا "

المستر برنارد — " مولاي الدوق المحترم لو طلبتم سموكم او سمو الدوقة قبل الآن ان اخبركما ما اعرفهُ عن ابنكما لقلت لكما ما اقولهُ الآن وهو ان لورد منتكيوت عميق جدًّا لا يسبرغورهُ ولا يستطيع احد ان يكتشف بواطنهُ سواءٌ كان من الذين دونهُ او من المساوين لهُ ولم يكن

لهُ عشير قط اما انا ففي كل السنوات العشر التي تشرَّفت فيها بتعليمهِ لا اذكر انهُ قال كلمة واحدة تغض من كرامتي وهو كولد خجلٌ سكوت وكرجل — لاني كنت اعتبرهُ رجلاً في العقل مدة السنوات الخمس الاخيرة ولو كان ولداً في السن — كان يستعملني كآلة لتحصيل العلم والمعرفة. والاقرار بذلك لا يعود عليَّ بالفخر ولكنهُ اتصل بكثيرين من كبار العلماء في اكسفرد وقد عرفت منهم انهُ كان يعاملهم كما كان يعاملني فيجلهم ويستفيد منهم كأنهم آلات في يدهِ. وهو كثير الدرس شديد الاجتهاد لا يكلُّ ولا يملُّ لكنهُ لا يسأل احداً عن رأيهِ ولا يعرض رأيهُ على احد. والمذاكرة مع سموكم امس هي اول مذاكرة سمعتُ بها عنهُ وهي تريكم شيئاً من طبعهِ"

فكُسف بال الدوق وغاصت الدوقة في بحار الافكار وصمت الثلاثة بضع دقائق ثم رفعت الدوقة نظرها وقالت بتأنٍ "يظهر لي الآن اننا لم نكن نعرف طبع ابننا واننا نشكرك يا مستر برنارد لانك بادرت الينا حالاً في ساعة ضيقتنا وانت مفضل علينا". ففهم مرادها ونهض وحنى لهما رأسهُ وخرج. وحينئذٍ نظر الدوق والدوقة كلٌّ منهما الى الآخر وهما صامتان وودَّت الدوقة ان يبدأ زوجها بالكلام اما هو فبقي صامتاً فقالت بعينين مغرورقتين بالدموع "والآن ماذا نفعل يا جورج"

وكان الدوق قد صمم الرأي على ان يرسل تنكرد الى القدس الشريف ويرسل معهُ الكولونل براس والمستر برنارد والدكتور روبي ليعتنوا بهِ ولكنهُ لم يستنسب اطلاعها على ذلك حينئذٍ فاشار عليها ان تتكلم مع تنكرد في هذا الموضوع

فقالت "كلاَّ وخير لي ان ابقى ساكتة الآن ولكن لا بدَّ من بذل ما في الوسع والمبادرة الى تخليصهِ من هذه الورطة باسرع ما يمكن. ومن رأيي ان نخبر صديقنا المطران بذلك وهو يتكلم مع تنكرد ولا شبهة عندي في انهُ يقنعهُ حالاً بالعدول عن هذا السفر لان المسألة سياسية ودينية معاً ومَن اقدر منهُ على حل المشاكل السياسية والدينية لانهُ من كبار رجال السياسة ومن اعلم علماء اللاهوت. هذا هو السبيل الرشيد وسينحلُّ هذا المشكل طبق المرام ان شاء الله. نعم اننا نثقل على المطران بهذا الطلب لكثرة اشغالهِ ولكن الخطب جلل ويجب ان لا نستخفَّ بهِ ونحمل مثل هذه الثقلة عن رجل كريم مثلهُ لاسيما وهو الذي ثبَّت تنكرد وصداقتنا معهُ قديمة. وسأكتب لهُ الآن واخبرهُ بخلاصة الامر ثم نقابلهُ غداً ونبسطهُ لهُ بسطاً تاماً فما رأيك في ذلك"

فقال لها "احسنتِ ولا احسن من هذا الرأي" قال ذلك وهو مسرور بانها وجدت شيئاً تتسلى بهِ ولو اياماً قليلة

الفصل الرابع

كان المطران الذي استعانت بهِ دوقة بلامنت على ابنها كبير الهمة كثير التقلب شديد الطمع ينظر الى جزئيات الامور ويحب التعرُّض للمشاكل السياسية لا يترك مسألة الاَّ وضع اصبعهُ فيها. وكان قليل العلم ضعيف الاستدلال تختلط عليهِ المسائل فيرتبك فيها ويزيد خطاؤُهُ على صوابهِ . وكان مقامهُ رفيعًا بين قومهِ ولكنهُ لم يفدهم بعلمهِ ولا باختبارهِ بل زاد مشاكلهم اشكالاً . اذا عثر على رأي وجد فيهِ لمحة من الصواب تمسك بهِ وادَّعاهُ كانهُ هو ابتكرهُ ثم اذا وجد ان العمل بهِ يثير عليهِ خصومةً انكرهُ وابعد عنهُ . فكان امرءًا من غير رأي يلبس لكل حالة لبوسها يظهر لك في مظهر اصحاب المبادىء السامية ثم لا يلبث ان يجاري احوال الزمان والمكان

قابل هذا المطران تنكرد مقابلة طويلة وحادثهُ بالاسهاب وكان تنكرد يصغي اليهِ بالوقار التام لكنهُ كان يعترض عليهِ من وقت الى آخر ويحاجهُ ويجادلهُ غير محاذر حتى وصل الى مسألة الولاية وبين هي قائمة فصار المطران يسرد العبارات الفخيمة من غير ارتباط ولا انسجام بل من غير معنى واخيرًا قال تنكرد

"لا شبهة في ان نظام الاجتماع الانساني وضعهُ الله وكان يدار بحسب شريعتهِ وهو يدار الآن بحسب الشرائع المدنية التي وضعها الانسان اما انا فافضل الشرائع الالهية على القوانين البشرية واودُّ ان اعرف كيف نعود الى استعمال الشرائع الالهية"

المطران — "ذلك سهل لان الكنيسة تنوب عن الله على الارض"

تنكرد — "ولكن لم يبق سلطة للكنيسة على احد"

المطران — "اصبتَ غير ان دوام الحال من المحال وقد اخذت السلطة تعود الى الكنيسة رويدًا رويدًا وحالها الآن على غير ما كانت عليهِ منذ مئة سنة ولا يبعد ان ننجح قريبًا في اقامة مطران لمدينة منشستر"

تنكرد — "وما الفائدة من اقامة المطران ونحن في حاجة الى ملاك سموي يرشدنا الى الحق"

المطران — "عندنا مرشد اعظم من الملائكة ولذلك لم يعد الملائكة يظهرون للناس"

وطال الحديث على هذا النمط ولم يدرك المطران مقصد تنكرد فقال انهُ من اهل الوهم والخيال . ولما رأَت الدوقة ان مقابلة المطران لم تجدِ نفعًا أُسقط في يدها وضعفت عزائمها ولكنها لم تستسلم للفشل وقالت في نفسها ان المطران لم يدرك غرض ابني ولذلك لم يستطع اقناعهُ . واخبرت زوجها بما قالهُ وهو ان ابنهما من اهل الوهم والخيال وقالت " اننا ارسلناهُ اليهِ لهذه

الغاية لكي يزيل الاوهام من رأسهِ فما معنى تركهُ على هذا الصورة ومهما كانت اوهامهُ فهي ليست اشد من اوهام البيوزيين(٧) فلماذا نرى غبطتهُ يقاومهم ويجادلهم . وهذا من انكى ما أُصبنا بهِ . واذ قد فشل نامع المطران فبماذا تشير الآن يا جورج اذ لا بدَّ من اقناع تنكرد بالعدول عن السفر"

فقال لها " يسوءُني ان المطران لم يفلح في اقناعهِ " ثم قال بعد ان صمت قليلاً وهو ينظر من كوَّة الغرفة الى ميدان القصر حيث كان جوادهُ مسرجاً في انتظارهِ " ويظهر لي ان هذه الاوهام لا يزيلها من رأسهِ الاَّ رجل خبير بالعالم"

الدوقة — " رجل خبير بالعالم ماذا يعرف من هذه المسائل الدينية "

الدوق — " يعرف قليلاً منها ولذلك لا يلجأ الى الجدال والجدال لا يقنع احداً بل يزيد المرء تمسكاً برأيهِ . والذي نجادلهُ قد نفحمهُ ولكننا لا نقنعهُ . اما الرجل الخبير بالعالم فيعرف كيف يقنع غيرهُ من غير جدال . وكثيراً ما شاهدت اسكدايل يفعل ذلك فاننا قد نتجادل في امرٍ اشهراً ولا نرى دليلاً يقنعنا فيأتي اسكدايل ويقنعنا بكلمتين لا لان الخبرة تحل المشاكل بل لان المشاكل تزول من امامها كما يزول الضباب من حر الشمس "

الدوقة — " اتستطيع ان تراهُ اليوم "

الدوق — "لا بد من ان يكون اليوم في مجلس الاعيان وسيذهب تنكرد الى مجلس النواب يسمع الجدال في مسألة مينوث فنطلب من اسكدايل ان يأتي ويتعشى معنا وهو خير من نستشيرهُ في حل هذا المشكل"

الدوقة — "اصبت اصبت ادعهُ للعشاء وقل لهُ ان الخطب جلل ولا بدَّ من حضوره حالاً واظنهُ يلبي دعوتنا ولو كان مدعوًّا الى مكان آخر"

وعاد دوق بلامنت ولورد اسكدايل تلك الليلة متأخرين لانهُ حدث في مجلس الاعيان امر نادر المثال وهو ان الاعيان انقسموا وذلك نادر جدًّا وقد سرُّوا بهذا الانقسام لانهُ دليل الحياة واكثروا اللغط فيهِ كما تنقنق الدجاجة اذا باضت . ولم يكن انقسامهم على مسألة خطيرة من المسائل التي لها مساس بسياسة البلاد ولكنهُ كان انقساماً مهمًّا لان الاقلية كانت مع حزب الوزارة والاكثرية ضدها . وقد حدث ذلك عن خطاءٍ فان رئيس المجلس كان نائماً والظاهر ان التخمة اشتدَّت عليهِ فاستيقظ بغتة واخذ يخطب ذاهباً مذهب الحزب المضاد واجتهد الذين بجانبهِ لكي ينبهوهُ الى خطائهِ بجذب طرف سترتهِ فاغتاظ واصرَّ على خطائهِ ولما

(٧) نسبة الى الدكتور بيوزي الذي قام في مدرسة اكسفرد الجامعة وحاول ادخال بعض العقائد الكاثوليكية الى الكنيسة الانكليزية

طلب رأي الاعضاء انقسم حزبهُ فوافقهُ بعضهم على الخطاء واقترعوا مع الحزب المضاد وخالفهُ البعض الآخر وخرج الموظفون لكي لا يقترعوا ضد الوزارة

وجلس الدوق والدوقة ولورد اسكدايل لتناول العشاء في غرفة المكتبة ودار الحديث على ما جرى في مجلس الاعيان وجعل الدوق ينتقد فعل العضو الذي شدَّ بطرف سترة الرئيس فاكَّد لهُ لورد اسكدايل ان ذلك كثير الحدوث في مجلس النواب وانهُ قد يشدُّ اثنان بسترة المتكلم حتى يضطراهُ الى الصمت والجلوس . وانقضى وقت الطعام ولم يذكر احد اسم تنكرد ولا سأل احد عنهُ . ثم لما فرغوا وخرج الخدم دفع الدوق المائدة من امامهِ وادار كرسيهُ الى نحو الموقد وفعلت الدوقة مثلهُ وقام لورد اسكدايل وحرَّك النار وادار ظهرهُ الى الموقد ووقف ويداهُ في جيبي بنطلونهِ وقال مخاطباً الدوقة " اذاً تنكرد عازم على السفر الى اورشليم "

الدوقة — " هل اخبرك جورج بالقصة كلها "

اسكدايل — " قال لي هاتين الكلمتين وترك تفصيل الخبر لكِ "

فجعلت الدوقة تسرد عليهِ واقعة الحال بالتفصيل والاسباب وهي تشرح ما حدث وتنتقد آراء ابنها الدينية وذكرت ما دار بينهُ وبين المطران . واخيراً قالت " ويظهر لي ان تنكرد زاد تصميماً على السياحة وانهُ لا شيء يثنيهِ عن هذا العزم "

فقال لورد اسكدايل " ذلك خير من ذهابهِ الى اليهود واستغراقهِ في الدّين كما يفعل غيرهُ "

" الدوقة — " انا اخالفك في ذلك لان الاستغراق في الدين خير من الموت فانهُ ما ذهب احد الى الارض المقدسة ورجع سالماً لتسلط الحميات عليها "

لورد اسكدايل — " ليأْخذْ معهُ صندوقاً من الكينا "

الدوقة " اراك تمزح مع انك تراني اكاد اموت كمداً "

فنظر الى السقف وقال لها " لست امزح ولكنني افكر في حيلة نصرف بها تنكرد عن عزمهِ من غير ان نظهر مضادين لهُ "

فنظر الدوق الى زوجتهِ وقال لها " اسمعي هذا الذي نطلبهُ ان نصرف تنكرد عن عزمهِ من غير ان نظهر مضادين لهُ " ثم قال لورد اسكدايل " انهُ لا يسهل على المرء الذهاب الى اورشليم كما يسهل عليهِ الذهاب الى برمنغام . ولا بدَّ لابنكما من ان يذهب اليها بحاشيتهِ وفي يختهِ ووجود اليخت ليس بالامر السهل ولا سيما اليخت الذي يصلح للسفر من هنا الى هناك لان بحر الروم لا يستخف بهِ وبامواجهِ ولذلك يحق لكما ان تطلبا منهُ ان لا يسافر الاَّ في يخت كبير لا يخشى عليهِ في ذلك البحر فلا يجد يختاً كبيراً يبتاعهُ واذا اراد ان يبني يختاً فاما ان يجد في بنائهِ

من المشقة ما يثنيهِ عنهُ او ان يغوى ببنائهِ فيستمرّ عليهِ سنة من الزمان و ينسى السفر الى اورشليم و يمضي الى كوس(٨) بدلاً من المضي اليها "

فقال الدوق هذا هو رأْيي ايضاً

وقالت الدوقة لم يخطر هذا الرأي ببالي قبلاً

وجلس لورد اسكدايل وشرب كاساً من الشراب وقال الدوق هذا رأي حسن فما قولكِ يا كاترين . فالتفتت الى لورد اسكدايل وقالت لهُ " ماذا تشير علينا ان نفعل اولاً . فقال دعوهُ يدخل الهيئة الاجتماعية انزلوا بهِ الى لندن . فقالت ولكن كيف افعل ذلك وانا نفسي لا اذهب الى مكان ولا احد يعرفهُ وهو لا يريد ان يعرف احداً . فقال اذا سمحتما لي فانا افعل ذلك فانني غداً ادع الدعوات تنهال عليهِ ولا يبقى عليكما الاَّ ان تحثَّاهُ على قبولها . فقالت وهذا ليس بالامر السهل عليَّ . فقال اجعلي ذهابهُ الى حفلات الانس مدة بنائهِ اليخت شرطاً لقبولك بسفرهِ الى الارض المقدسة . وما من شابّ الاَّ و يشعر بشيءٍ من الحياء في اول الامر ولكنهُ متى عاشر الناس ودخل حفلاتهم يصير يصعب صرفهُ عنها . وقال الدوق اني لا امانع في ذلك الاَّ اذا رأَيتهُ مائلاً الى اللعب (القمار) . فنظرت الدوقة الى زوجها وقالت كيف تقول ذلك ونحن كنا عازمين ان نزوجهُ اولاً حتى نأْمن عليهِ من الاشراك . يا ولدي اني اتصورهُ الآن والفخاخ منصوبة حولهُ

الفصل الخامس

قرّ القرار اخيراً على ان تنكرد يمضي الى بلاد الشام و يزور الارض المقدسة في يخت خاص يُصنَع لهذهِ الغاية تعطى ادارتهُ لربّان من ربّاني الاساطيل الانكليزية و يمضي معهُ الكولونل براس والمستر برنارد والدكتور روبي ورجل آخر عارف ببلاد المشرق يكون الخدم كلهم تحت امرهِ و يختارهُ اللورد اسكدايل لهذه الغاية . وقبل تنكرد بما فرضهُ عليهِ ابواهُ وهو ان يمتزج بالهيئة الاجتماعية الى ان يُعَدَّ اليخت لهُ وحسبت امُّهُ انهُ لا بدَّ من ان يشغف بحب ابنة خالهِ في غضون هذه المدة فيعدل عن السفر و يصير يستعمل اليخت لزيارتها في ارلندا

ودخل تنكرد الهيئة الاجتماعيَّة اي مجتمعات الامراء والوجهاء في عاصمة البلاد الانكليزية فرحّب بهِ الجميع وصاروا يتسابقون الى دعوتهِ لانهُ من اكثر الناس ثروةً واعرضهم جاهاً .

(٨) فرضة للنزهة في شمالي جزيرة ويط ببلاد الانكليز

فشغل بالدعوات الكثيرة · واشراف الانكليز يعلنون انهم مدعوون في اليوم الفلاني الى هذا المكان وفي اليوم التالي الى آخر فيحسب العامة ذلك تنازلاً منهم ولا تتم هذه الغاية الاّ في بلاد جرائدها حرة وعامتها متعبدة لخاصتها · والذين تشوقهم الدعوات الى بيوت الكبراء لا يعبأُون بالدعوة من حيث ما يجدونهُ من المسرَّة في البيوت التي يُدعَوْن اليها بل يعبأُون بها ليكتب اسمهم في لائحة المدعوين حتى يقال انهم من الذين يدعون الى بيت هذا الوزير وذلك العظيم

واتفق ان لورد منتكيوت فتح جريدة ذات يوم فرأَى اسمهُ فيها رأَى انهُ "دعي الى وليمة ارل سنت جوليان والقونتة زوجتهِ وكانت الوليمة فاخرة ثم شوهد بعد ذلك في الاوبرة". فلما قرأَ ذلك احتدم غيظاً ولكنهُ وجد ان دخولهُ الهيئة الاجتماعية صار امراً مقضيًّا ولو انَّهُ كثيراً لانهُ كان يكره شهرةً نالها بولادتهِ من دوق كبير لا باعمال نبيلة عملها ولذلك كان يمضي في كل ساعات الفراغ الى المرافئ يفتش فيها عن يخت ليسرع في سفرهِ على قدر الامكان واعلن عن ذلك في كل الجرائد وخافت امهُ ان يجد يختاً يرضيهِ فيسافر فيهِ حالاً واطلعت لورد اسكدايل على ذلك فطمَّن بالها وقال لها انهُ لا يجد ما يرضيهِ

وحدث ذات يوم ان دعي الى ليلة راقصة في بيت احد الوجهاء فلما ذكر الخدام اسمهُ احدقت كل عين بهِ ونظرت اليهِ احدى السيدات بنظارتها وقالت هذا لورد منتكيوت . واسرَّ المستر ارمسبي في اذن لورد فالنتين قائلاً كونوا على حذر ايها الشبان فانهُ ليس لكم خبز مع لورد منتكيوت. فقال لورد فالنتين ولكنهُ ذاهب الى القدس. فالتفت اليهِ لورد ملفورد وقال "كان اخي هناك بعد ضرب عكاء سنة ٣٩ وقال انهُ لا يوجد فيها شيء للصيد" فقال ارمسبي "كان فيها حجال في ايام ارميا النبي على ما قيل لنا يوم الاحد الماضي" وقال لورد فالنتين ان منتكيوت لا يهمهُ الصيد فسأَلهُ لورد ملفرد وماذا يهمهُ اذاً . فقال بلغني انهُ يفتش عن يخت يشتريهِ ليذهب بهِ الى الارض المقدسة . فدنا لورد بترك من لورد منتكيوت وقال لهُ متى تذهب الى اريحا فنظر اليهِ لورد منتكيوت وقال لهُ مَن هذه قال ذلك مشيراً الى غادة غيداء تبدو على وجهها ملامح الذكاء ويظهر في قدها الجمال والدلال. فاجابهُ هذه لادي كونستانس رولي تعال اعرّفها بك وهي من بنات عمي

وكان الازدحام كثيراً في مدخل الرواق بين الداخلين الى غرفة الرقص والخارجين منها وهم يتطارحون موجز الحديث مثل قولهم . بلغني انكِ مضيتِ الى باريس . نعم وقد رجعت امس . ما اجمل هذه الرقصة . جميلة جداً . اتعلمين متى يعود بيت مدلترب الى المدينة .

لا اعلم لان ابنتهم مريضة جدًّا . كذا بلغني مساكين ولمن تبقى اموالهم كلها . هل اتى مستر كنسباي معك — كلاَّ بل هو في المجلس — بلغني انهُ شديد المواظبة على حضور الجلسات. نعم لانهُ يحبها . مبروك مبروك لا انسب منهُ لها ولا انسب منها لهُ . كذا يقال

وتحدَّث لورد منتكيوت مع لادي كونستانس ثم رقص معها وكان يراقب حركاتها وسكناتها على ما رأتهُ الامهات الخبيرات . وكانت هذه السيدة من الشهيرات بجمالهنَّ ويقال انها رفضت كثيرين من العظماء الذين اتوها خاطبين ولكن بعضهم لم يقطع الرجاء من رضاها ولذلك قيل انها لم تظهر لهم انها رفضتهم رفضاً باتًّا . ويقال ايضاً انها تعرف كيف ترضي وكيف تُغضِب وكيف تحسن وكيف تسيء . ورافقها تنكرد الى غرفة الاردية حيث لبست الرداء الذي تخرج بهِ وتعود الى بيتها وعرَّفت امها بهِ هناك ولما ارادت وداعهُ قال لها يسوءني هذا الفراق . فتبسمت وقالت وانا كذلك ولكن لا اسهل من لقاء الاصدقاء كل يوم . فقال لها لا اعلم اين التقي بكِ غداً الاَّ اذا كنت عازمة ان تتعشي عند رئيس اساقفة يورك فقالت لهُ انني ذاهبة الى بيت مسز فلونسي وسيذهب كل احد الى هناك فعلى مَ لا تذهب انت ايضاً . فقال لانني لم أُدْعَ اليهِ وزد على ذلك فاني مضطر ان افتش عن بحث . فقالت فتش عنهُ يوم الاثنين وتعال معنا غداً الى بيت مسز فلونسي وهناك ترى اخي وتسألهُ عن بحث وهو ادرى الناس بذلك. فقال سأفعل ثم مدَّ لها يدهُ وساعدها على ركوب مركبتها

ستأتي البقية

تقدم الجراحة هذا القرن

لحضرة الدكتور وديع بر باري طبيب مستشفى الزقازيق

يهمُّ القراء عموماً والاطباء خصوصاً بعد ان رأوا تقدُّم الجراحة وتمتعوا بفوائد الاكتشافات الحديثة فيها ان يعرفوا الحالة التي كانت عليها في بداءة هذا القرن . فالجراحة من اهم فروع الطب وتقدُّمها ونتائجها حسيَّة اكثر من التقدم في علاج الامراض الباطنة وبها تخفيف الآلام ولاسيما في زمن الحروب حيث يقع الجرحى بالالوف ويتألمون آلاماً يرقُّ لها الجماد ولا تخففها الاَّ الوسائل الجراحيَّة . نعم ان العقل يقف حائرًا عندما يراجع حالة هذا العلم في بداءة القرن التاسع عشر ويقابلها بحالتهِ في آخر سنةٍ منهُ فيشعر بفضل المكتشفين الذين خدموا نوع الانسان خير خدمة فاستحقوا الشكر الجزيل وقد اتيح لبعضهم مثل اللورد لستر ان يبقى في قيد

الحياة الى الآن ويرى العالم اجمع يتمتع بفوائد مكتشفاتهِ والملايين تقرّ بفضلهِ وتخفف آلامها بعلمهِ وينال اكبر مكافأة من امتهِ وحكومتهِ مع اشرف الالقاب ولو كان ذلك قليلاً تجاه فضلهِ الجزيل ونفعهِ العميم. وقد ذكر الدكتور هيث (Heath) طرفاً من تاريخ الجراحة في القرن الماضي مفعماً بالفوائد فرأيت الاَّ يحرم قراء العربية من الاطلاع عليهِ فلخصتهُ في السطور التالية

كانت اوروبا في بداية القرن التاسع عشر مشتغلة بحروب دائمة حتى انتصرت على نبوليون الاول سنة ١٨١٥ ولذلك كانت افكار الاطباء متجهة بنوع خاص الى الجراحة العسكرية والاصابات التي تنتج عن المقذوفات النارية وكانت الجراحة في ذلك الحين في طفوليتها تحتاج الى ما يخفف الالم و يساعد على سرعة اتمام العمليات الجراحية ويؤكد نجاحها من الوسائط العلاجية والواقية وكان هم الجراحين الاول ايقاف النزف حينما يبترون العضو المصاب لتخليص الجريح إما في ساحة القتال او في احد البيوت المجاورة ولم يكن لديهم من المغيبات ما يساعدهم على التأني في عملهم وتخفيف الم المصاب ولا من المضادات للفساد ما يؤكد لهم حسن النتيجة فكان متوسط الوفيات اكثر مما هو الآن كثيراً وكانت الحروب خير مدرسة للجراحة امتاز فيها الجراحون واشتهرت اسماؤُهم بعدها. ومن الذين امتازوا على غيرهم الجراح لاري Larry الذي كان وجودهُ في الجيش بمثابة جيش آخر مساعد لهُ لان وجودهُ كان يبث الشجاعة في قلوب العساكر المحاربة لثقتهم بانهم اذا جرحوا وجدوا من يخفف آلامهم و يعتني بهم الاعتناء اللازم لتخليص حياتهم فكانوا يحاربون مستقتلين ومعتمدين على جراحهم هذا . ومن هذه المدرسة التمرينية انتُخب اساتذة الجراحة للتعليم في المدارس الكلية . ومن اهم المواضيع التي اشتغلوا بها حينئذٍ عملية البتر اي قطع احد الاطراف . وكانوا يعتمدون على البتر المستدير او الحلقي حتى ظهر الجراح لستن Liston واوجد بعض التحسين بايجادهِ عملية البتر ذات الشرائح التي يتوفر بها الغطاء اللازم لتغطية الجرح مع السرعة في العمل فانتدب سنة ١٨٣٦ ليكون جراح احدى المستشفيات الشهيرة في لندن وادخل اليها عمليتهُ هذه وكان كبير الجسم قوي البنية طويل القامة لا يقلُّ طولهُ عن ست اقدام فكان يقبض على الفخذ و يقطع الشريحة العليا ثم السفلى ويرجعها الى الوراء بيدهِ اليمنى وينشر العظم بسرعة فائقة و يفتخر بانهُ يتم العملية في اقل من دقيقة واتمامها في هذا الوقت القصير كان يعد مهارة فائقة لانهُ لا يعرض المصاب لالم طويل وعذاب أليم ولم تكن المغيبات معروفة حتى ذلك الوقت بل كانوا اذا ارادوا عمل عملية جراحية اعطوا المصاب كاساً كبيرة من الكونياك (برندي) والماء ثم يؤخذ في العملية من قطع ونشر وخياطة الخ والمصاب يتحمل اشد عذاب الالم

اما الآن وقد اكتشفت المغيبات ولم يبقَ ما يدعو الطبيب الى الاسراع في العمل فقد ابطلت هاتان العمليتان تقريباً واوجدت طرق اخرى اسهل منهما وافضل فاذا اراد الجراح بتر عضو وضع المصاب تحت الكلوروفورم وعقّم يديهِ والآلات الجراحية ومحل العملية ثم يضغط على الاوعية الدموية برباط اسمرك ويبتر العضو بتمهلٍ وتأنٍ مختاراً الطريقة التي تناسب الحالة. والمصاب لا يشعر بشيءٍ ولا يفقد من دمهِ ما يضعف قوتهُ وبوجود مضادات الفساد صارت الارجحية في جانب الشفاء

واهم ما يذكر من المكتشفات الجراحية في القرن التاسع عشر

اولاً المغيبات. وهي اعظم نعمة يذكرها الانسان لانها تخفف آلامهُ واكبر مزية للقرن التاسع عشر يذكرها المرضى على مر الايام فلا عجب اذا جُعل يوم ٧ اكتوبر عيداً عظيماً تذكاراً لذلك اليوم من سنة ١٨٤٦ يوم جُربت المغيبات اول مرة فوفت بالمراد وتحسنت بعد ذلك طريقة استعمالها وتعدَّدت انواعها وشاع استعمالها حتى عمَّت الدنيا

والفضل الاول في اكتشافها لمورتن Morton طبيب الاسنان من بوستن في اميركا الذي عمل بعض تجارب بالغاز الضحَّاك المعروف من ايام همفري داڤي بانهُ ينبه مستنشقهُ فزاد مورتن كميتهُ فنتج عنهُ التخدير الوقتي الامر الذي لم يعرف عن هذا الغاز قبلاً واستعملهُ في قلع الاسنان واستأنف البحث عساهُ ان يجد ما يكون اوفى منهُ بالغرض واسهل في الاستعمال فوصل الى الايثر الكبريتيك فنجح مراراً في استعمالهِ لقلع الاسنان فاخبر الطبيب وارين Warren وكان مقيماً معهُ في بوستن وطلب منهُ ان يجربهُ في العمليات الجراحية الكبرى وهو يباشر اعطاءهُ بنفسهِ

وعليهِ صار الاتفاق بينهما على ان يجتمعا يوم ١٧ اكتوبر سنة ١٨٤٦ لمباشرة اول عملية تحت فعل المغيبات ويكون عامل العملية وارن والمعطي للايثر مورتن وفي اليوم المعين عملت العملية والمريض لم يشعر بالم البتة ولم يتحرك اثناء العملية ولما افاق لم يصدق ان العملية عملت فقال ورن اذ ذاك "لا خداع في الامر" ولم تمضِ مدة طويلة حتى بلغ هذا الاكتشاف انكلترا واستعملهُ الجراح لستن في عمليتين في مستشفاهُ ثم شاع استعمالهُ حتى عم اوربا. ووجدوا ان في استعمال الايثر بعض الصعوبة فواصل احد المولدين المشهورين البحث حتى اتصل الى معرفة الكلوروفورم المستعمل الآن ومن مزاياهُ اولاً اطلاق الحرية للجراح ليتأنَّى في العمل ويستوفي طرق العملية القانونية في عملهِ وثانياً اراحة المريض من الالم حتى لا يحجم احد عن عمل اكبر عملية خوفاً من الالم

ثانياً . مضادات الفساد . وهي تفوق ما سواها باهميتها العلمية لانها اساس نجاح الجراحة فان كانت المغيبات تشجع المصاب على تسليم نفسهِ للجراح غير خائف من الالم فمضادات الفساد تجعلهُ على يقين من نجاح العملية لان عمليةً بلا الم عاقبتها الموت تضيع فضل الجراح ودقة العمل. وقبل اكتشاف هذه الطريقة اي قبل سنة ١٨٧٣ لم يكن يجسر طبيب على فتح تجويف البطن وطالما كانت ابسط الجروح والعمليات سبباً لضياع الحياة بالحمى العفنة . والفضل في اكتشاف مضادات الفساد للعلامة اللورد لستر Lister الجرَّاح الشهير . اكتشفها صدفة بلا تعب ولا اجهاد فكرة فانهُ جرب استعمال الحامض الكربوليك وكان البعض يستعملهُ في المجاري لمنع تصاعد الروائح الكريهة فجرَّبهُ اولاً في حادثة كسر مضاعف واول ما كشف عن الجرح بعد غيارهِ بهذا الحامض وقف متعجباً من النجاح الذي صادفهُ لانهُ عوضاً عن ان يرى جرحاً متقيحاً كما اعتاد ان يرى قبلاً وجد جرحاً فيهِ جلطة دم عوضاً عن الصديد بلا اعراض التهابية حولهُ وهذه بداية اكتشاف مضادات الفساد التي تحسنت من وقت الى آخر واضيف اليها مواد اخرى مثل السليماني والكريوليد. واللورد لستر هو واضع الاساس وهو صاحب الطريقة المشهورة المعروفة بالغيار على الجرح ولو كانت قد تحسنت كثيراً وأُبدل جزء منها باحسن منهُ. وقد اصبح الجرَّاح قادراً على حفظ الجرح عقيماً بانتباههِ الى نظافة يديهِ والمريض والممرضة وما يحيط بهِ من الاثاث وهو امرٌ لم يحلم بهِ الاطباء قديماً وصار قادراً ان يعمل اية عملية كانت غير راهب ذلك العدو القديم الذي كان يفسد اكثر العمليات الجراحية وهو الامتصاص العفن والحمى الصديدية

الحصوات المثانية — لم يعرف الاطباء قديماً لاستخراج الحصاة المثانية غير عملية الشق العجاني (الجانبي) مع كونها لا تفي بالمقصود وينتج منها اضرار عديدة حتى انها أُبطلت الآن ثم ان ويس Weiss صاحب معمل الآلات الجراحية المشهور وسيفيال Civiale الباريسي اشتغلا بجدٍ لإيجاد طريقة افضل حتى توفقا الى اكتشاف آلة لتكسير الحصاة في المثانة في جلسات متعددة وتترك قطعها الناعمة لتخرج مع البول من نفسها واضاف كلوفر Clover الانكليزي اليها الطلمبة المفرغة . وبالتحسين والاضافة وباهتمام بجلو Bigelow الاميركاني صار يمكن للجراح ان يكسر الحصاة ويستخرجها بالطلمبة المذكورة بلا شق ولا خطر يذكر وذلك في جلسة واحدة . ثم ان عملية الشق العاني أُرجعت حديثاً ورغب فيها الاطباء بعد ان تبين انهُ يمكن رفع غشاء البريتون بواسطة تمديد المثانة بالماء والمستقيم بكيس من الصمغ المرن حتى يضغط على المثانة فيرتفع غشاء البريتون في البطن الى علوٍ لا يخشى عليهِ بعدهُ من ان يمس اثناء

العملية . وتعد هذه العملية الآن احسن عمليات الشق وتفضل في الاولاد لاسباب تشريحية لا تخفى على الطبيب

فتح البطن — اعتقد الاطباءُ قديماً ان عمل العمليات الجراحية في احشاء البطن فوق مقدرة الجراح وان العلم قاصر عن اتمامها ولكن بفضل مضادات الفساد وتقدم الجراحة زالت كل العقبات واصبح فتح البطن كغيرهِ من العمليات الجراحية فحصاة المرارة والكلية تستخرج في كل يوم والكلية تستأصل برمتها واورام الامعاء تفصل وتستخرج وتقطع اجزاءٌ من الامعاء عند اللزوم. واكتشف حديثاً زر مورفي لهذه الغاية. ولا يبرح عن البال انه من مدة وجيزة استؤصلت المعدة برمتها . وكذلك الاورام المبيضية نزعت اول مرة في سنة ١٨٠٩ لكن عملية نزعها لم تكن سوى مخاطرة شفاؤُها من قبيل الصدف فاصبحت بعد سنة ١٨٧٣ كباقي العمليات حتى ان Spencer Wells سبنسر ولس الذي توفي سنة١٨٩٦ استخرج الفي كيس مبيضي مدة تعاطيهِ الجراحة بعد سنة ١٨٧٣

وتجويف الراس يفتح الآن وتستأصل منهُ الاورام وتفتح خراجاتهُ

ومن اهم الآلات التي اكتشفت في هذا القرن فكانت اكبر مساعد على تقدم فن الجراحة والتشخيص اولاً الميكروسكوب الذي بواسطتهِ تعرف انواع الاورام والانسجة المختلفة ويستعمل في امراض مجرى البول لمعرفة مصدر العلة ولاكتشاف الجراثيم المختلفة. ثانياً الابثلمسكوب الذي اكتشف في اواسط القرن التاسع عشر فكان اكبر دليل لتشخيص امراض العين ومداواتها وللمساعدة على تشخيص بعض الامراض الباطنية مثل مرض بريط. ثالثاً اللارنجسكوب للبحث عن امراض الحلق والانف . والاندوسكوب الكهربائي الذي بواسطتهِ يرى داخل المثانة والتجاويف الداخلية . واخيراً اشعة رنتجن الحديثة الاكتشاف وقد صار امرها مشهوراً

هذه بعض الفوائد ذكرتها باختصار . ومما ذكر يرى ان اساس تقدم الجراحة المغيبات ومضادات الفساد والفضل في نجاح العمليات الجراحية وانتفاء الخطر منها لمضادات الفساد كما لا يخفى . ولو بُعث الجرَّاحون الاقدمون ورأوا كيف تعمل العمليات الجراحية الكبيرة فتقطع الاطراف ويبقر البطن وتفتح الجمجمة وتقطع الامعاء وتوصل ويتم ذلك كلهُ بالسهولة التامة وتلتئم الجروح كلها بالمقصد الاول لما صدقوا عيونهم وحسبوا اننا اكتشفنا اكسير الحياة ومنعنا عوادي الادواء . لاحرمت الانسانية رجالاً يوقفون انفسهم لخدمتها وترقية العلوم والفنون وتقليل الآفات والآلام . وعسى ان يكون القرن المقبل قرن اكتشاف وتقدم

تولُّد الاقمار

من رسالة للعالم الفلكي جورج دارون

اول مَن برهن على ان المد والجزر حادثان من جذب القمر والشمس هو الفيلسوف اسحق نيوتن . فان جذب القمر للجانب القريب منهُ من الارض اشد من جذبهِ للجانب البعيد حسب ناموس الجاذبية العام ولذلك فجذبهُ لماء البحر اشد من جذبهِ للارض التي تحتهُ فيميل الماء الى الارتفاع ويتحدَّب سطحهُ بحسب سير القمر فوقهُ. هذا في الجهة المواجهة للقمر اما الجهة الاخرى من الارض المقابلة لهذه الجهة فالقمر يجذب قاع بحرها اكثر مما يجذب الماء الذي فوقهُ لان قاع البحر هناك اقرب اليهِ من مائهِ . فيجذب الماء عن الارض في الجانب المواجه لهُ ويجذب الارض عن الماء في الجانب المقابل وتكون النتيجة ان سطح الماء يعلو ويتحدَّب على الجانبين معاً الجانب المواجه للقمر والجانب المقابل لهُ. هذا اذا كان الماء خالياً من المقاومة الاَّ انهُ يقاوم جذب القمر لهُ بثقلهِ واحتكاكهِ فلا يكون المدُّ مواجهاً للقمر تماماً بل متأَخراً عنهُ . وفعل الشمس اقل من فعل القمر في المد والجزر لبعدها الشاسع ولو كان جرمها اكبر من جرم القمر كثيراً

ثم ان الارض والقمر والسيارات شكلها كلها كروي وهذا يدلُّ على انها كانت مصهورة في سالف عهدها فاستدارت بفعل الجاذبيَّة (كما تستدير نقط الماء الصغيرة) . وحينما يبلغ سيَّار من السيَّارات حالة متوسطة بين السيولة والجمودة بفعل الحرارة فاقمار ذلك السيَّار او الشمس نفسها تفعل بهِ كما يفعل القمر ببحار الارض وتحدث مدًّا وجزراً في مادتهِ نفسها

واذا كانت الصخور والمعادن مصهورة فتكون لزجة القوام ولذلك فكل قوة تحركها تعرضها للاحتكاك الشديد ولا بدَّ من الاحتكاك ولو كانت المادة ماء . والاجسام المتحركة التي يعارض الاحتكاك حركتها تعود الى السكون رويداً رويداً فاذا قطعتَ البخار عن قطار سائر بقي سائراً مدةً ثم قلَّت سرعتهُ رويداً رويداً الى ان تزول ويقف وكذلك اذا اوقفت القوَّة المحركة عن دولاب دائر بقي دائراً مدةً ثم قلت سرعتهُ الى ان يقف . وبموجب هذه القاعدة العامة تقل حركة السيَّارات في دورانها على محورها بواسطة الاحتكاك الناجم عن المد في مياهها او اجزائها المصهورة

اما الدولاب الدائر فيوقفهُ احتكاكهُ بمحورهِ واما الارض فليس لها محور تحتك بهِ في دورانها فقد لا يظهر جليًّا كيف يقل دورانها بالاحتكاك لكنهُ امر واقعي . ولا يحدث فعل

ما لم يحدث انفعال مقابل لهُ ولذلك فما يقل في سرعة دوران الارض يجب ان يزيد في بعد القمر واتساع دائرتهِ

ومعلوم ان اليوم هو مدة دوران الارض على محورها والشهر القمري مدة دوران القمر حول الارض فاذا كان احتكاك المد يبطئ دوران الارض ويزيد دائرة القمر زاد بهِ طول اليوم وطول الشهر القمري وزاد ايضاً بعد القمر عن الارض وهذه النتائج الثلاث اي ازدياد طول اليوم وطول الشهر القمري وبعد القمر من الارض امور حقيقيَّة واقعيَّة . الاَّ ان مقدار هذا الازدياد قليل جدًّا الآن حتى يتعذَّر تقديرهُ بالتدقيق لقلتهِ . ويعلم من حساب الكسوفات والخسوفات من ايام الاشوريين واليونانيين الى الآن انهُ لم يحدث اختلاف كبير في طول اليوم والشهر من ذلك العهد الى الآن اي مدة ثلاثة آلاف سنة والاختلاف الذي حدث طفيف جدًّا . الاَّ انهُ لا يستنتج من ذلك ان هذا الاختلاف كان قليلاً جدًّا في العصور المتوغلة في القدم لانهُ يعلم بالحساب ان الاحتكاك كان عظيماً جدًّا لما كان القمر قريباً من الارض لان احتكاك المد يختلف كمكفوء القوَّة السادسة من البعد فاذا كان بعد القمر عن الارض نصف بعدهِ الحالي ففعلهُ في تقليل حركة الارض يساوي اربع وستين مرة من فعلهُ الآن اي اذا قلل دوران الارض على محورها الآن دقيقةً واحدة كل يوم وجب ان يقللهُ حينئذ ٦٤ دقيقة في اليوم

والآن يطول اليوم ويطول الشهر القمري دواماً ولو شيئاً يسيرًا جدًّا في القرن الاَّ ان زيادة طول اليوم اسرع من زيادة طول الشهر وسيبقى ذلك كذلك في المستقبل فيزيد طول الايام ولكن لا يزيد عددها في كل شهر على نسبة زيادة طولها فحينما يصير اليوم قدر يومين من ايامنا لا يكون طول الشهر قدر ٥٨ يوماً من ايامنا بل قدر ٣٧ يوماً اي يصير الشهر القمري نحو ١٨ يوماً من تلك الايام الطويلة

وهذا الازدياد البطيء في طول اليوم والشهر يستمرُّ عاماً بعد عام ودهرًا بعد دهر الى ان يصير طول اليوم مثل طول ٥٥ يوماً من ايامنا الحاضرة ويصير طول الشهر القمري حينئذٍ مثل طول ٥٥ يوماً من ايامنا ايضاً . فيصير طول الشهر القمري مثل طول اليوم ويبقى القمر مواجهاً لنقطة واحدة من الارض ويصير يدور مع الارض كانهُ جزء منها متصل بها ولذلك فنتيجة الاحتكاك الحادث من المد المسبب عن جذب القمر ان يبعد القمر عن الارض ويؤخر دورانها فتطول الايام والاشهر حتى اذا صار طول اليوم ٥٥ يوماً من ايامنا صار الشهر القمري ٥٥ يوماً من ايامنا ايضاً

واذا عدنا الى العصور الغابرة وجدنا ان الايام كانت اقصر ممَّا هي الآن وكذلك الشهور. وكان في الشهر القمري ٢٩ يوماً من تلك الايام القصيرة على الاكثر وقبل ذلك كان عدد الايام اقل فاقل الى ان تصل الى زمن كان فيهِ الشهر القمري يوماً واحداً فتدور الارض والقمر في وقت واحد كأنهما مرتبطان معاً بقيود من حديد

والبداية الاولى تشبه النهاية الاخيرة في دوران الارض والقمر في وقت واحد لكن هذا الوقت يكون في النهاية قدر ٥٥ يوماً من ايامنا وقد كان في البداية نحو اربع ساعات من ساعاتنا او بين ثلاث ساعات وخمس ساعات . وقد كان القمر حينئذٍ قريباً من الارض جدًّا حتى يكاد يمسُّها . ويستحيل ان تكون حركتهُ اسرع من حركة الارض لانها لو كانت اسرع للزم ان تجذبهُ الارض اليها وتلصقهُ بها فيصير جزءًا منها . ولو كان ذلك كذلك ما وجدناهُ بعيداً عن الارض وعليهِ فقد كانت حركتهُ حينئذٍ ابطأ من حركة الارض ولو قليلاً جدًّا فحدث الاحتكاك من المد وبهِ قلَّت سرعة دوران الارض وزاد بعد القمر عنها بردِّ الفعل وابطأَت حركتهُ حولها وصار اليوم يطول والشهر يطول ايضاً لكن الشهر كان يطول اكثر ممَّا يطول اليوم فزاد عدد الايام في الشهر القمري حتى بلغ اعظمهُ وهو ٢٩ يوماً وسيعود عدد الايام في الشهر الى القلَّة الى ان تتساوى مدة دوران الارض على محورها بمدَّة دوران القمر حولها وتصير في الحالين مثل ٥٥ يوماً من ايامنا ويكون القمر قد بعُد عن الارض بعداً شاسعاً

وهاتان الحالتان غير متشابهتين ايضاً فان الاولى غير ثابتة واما الثانية فثابتة لان اقل تغير في القمر كان يجب ان يميلهُ اما الى الوقوع على الارض او الى الابتعاد عنها كما اذا اوقفتَ بيضة على رأسها فان ذرة الهباء تميل بها الى هذه الجهة او تلك فلا تبقى واقفةً واما الحالة الاخيرة فحالة ثابتة اذا تغير القمر عنها بفاعل ما عاد اليها من نفسهِ كالبيضة المستقرَّة على جنبها فانها اذا اميلت عنهُ قليلاً عادت اليهِ من نفسها

وقد وصل العلماء الى معرفة حالة القمر الاولى بالبرهان الحسابي ثم وقفوا عند ذلك الحد ولا يمكنهم ان يعرفوا بالحساب كيف كانت حالتهُ قبل ذلك ولكن يمكنهم ان يصلوا الى معرفتها بشيء من الاستدلال العلمي لانهُ اذا كانت كرة الارض تدور دورة كاملة كل ثلاث ساعات او اربع فسرعتها هذه كافية لجعل اجزائها الاستوائية تنفصل عنها وتتطاير كما تنفصل اجزاء دولاب من الحديد وتطاير اذا ادير بسرعة فائقة. والفرق بين الارض والدولاب ان الارض تبقى ماسكة لاجزائها بقوة الجذب واما الدولاب فلا

وينتج من ذلك ان القمر مكوَّن من قطع كانت من الارض وافترقت عنها بقوة التباعد

عن المركز لما اسرعت الارض في دورانها ثم اجتمعت تلك الاجزاء والتحمت وجمدت وصارت كرة القمر . ولا نستطيع ان نثبت ذلك بالحساب الرياضي ونبين الدرجات التي مرَّ عليها ولكن قلما يشك احد في انهُ مرَّت على القمر ادوار كان فيها على غاية الاضطراب قبلما عاد اليهِ الانتظام

قلت ان سرعة دوران الارض على محورها هي السبب لانفصال القمر عنها ولكنني لا احتم بذلك بل ارجحهُ لان هذه السرعة قد لا تكفي لانفصال القمر عن الارض ولذلك يحتمل انهُ وجد سبب آخر ساعد دوران الارض على فصل القمر عنها وما دمنا في معرض الظن فلا بأس بذكر هذا السبب

ذلك انهُ لما كانت الارض تدور على محورها دورة تامة كل نحو ثلاث ساعات قبل ان تولد القمر منها كان المدُّ والجزر شديدين فيها بجذب الشمس لها كما يعلم بالحساب لسرعة دورانها على محورها ولو لم يكن بعد الشمس عنها حينئذٍ اكثر من بعدها عنها الآن فلا يبعد ان تكون قد انفصلت منها اجزاء كبيرة بقوَّة التباعد عن المركز الحادثة من سرعة دورانها على محورها وبقوة جذب الشمس لها ثم اجتمعت هذه الاجزاء وتكوَّن منها القمر . وهو رأي غريب جدًّا ولا يمكن اثباتهُ بالدليل الرياضي وسواء صحَّ او لم يصح يبقى امر الاحتكاك وازدياد طول النهار والشهر على حالهِ لانهما مبنيان على قواعد حسابية مقرَّرة

ولم اشر في ما تقدَّم الى مقدار الزمن الذي حدث فيهِ ذلك اي الزمن الكافي لانفصال القمر عن الارض وصيرورتهِ كرةً تدور حولها مع ان معرفة هذا الزمن كبيرة الفائدة العلمية وهي مما يتوق العلماء اليهِ . فاذا وجب ان يكون هذا الزمن ملايين الملايين من السنين فالتعليل باطل لانهُ يعلم من امور اخرى ان تاريخ الارض محدود لا يصل الى ملايين الملايين من السنين وكذلك تاريخ النظام الشمسي كلهِ محدود مهما كان متوغلاً في القدم . غير انهُ يعلم بالحساب انهُ اذا كان الاحتكاك المتقدم ذكرهُ قد فعل في العصور الغابرة كما يفعل الآن وكانت الاحوال كلها صالحة لفعلهِ فكل ما حدث يمكن ان يحدث في نحو خمسين او ستين مليون سنة على الاقل . ولا بدَّ من ان تكون اكثر من ذلك لاننا استعملنا اقل مدة يمكن ان يحدث فيها ما حدث من انفصال القمر عن الارض ودورانهِ حولها . وقد يكتشف العلماء عللاً اخرى لتكوُّن القمر ودورانهِ ولكن لا يحتمل انهم يجدون علة اقوى من علة المد الشمسي المشار اليهِ آنفًا

بلاغة العرب والافرنج

لحضرة الكاتب المجيد خليل افندي ثابت

عثرت في مقتطف يناير على رسالة لحضرة الشاعر المجيد احمد افندي كامل قابل فيها بين بلاغة الافرنج وبلاغة العرب مستندًا الى امثلة وشواهد منها في الافرنجية معرب قصائد ومنثورات لكبلنغ وهيكو وفي العربية مقتطفات من منثور سماحة السيد البكري وابيات لبعض شعراء العرب

وقد آنست من حضرة الكاتب تحاملاً على الافرنج رددتهُ الى غيرة حضرتهِ على آداب اللغة العربية غيرة تحمد منهُ والى قلة علم باللغات الافرنجية وآدابها فهل يأذن لي حضرة الاديب ان انقد كلامهُ مع اعترافي بالعجز والقصور

اللغة العربية في عرف علماء الفيلولوجيا احدى اللغات السامية ولغات اهل اوروبا فروع اللغة الآرية . وان من لهُ الماماً باصول الفيلولوجيا يعلم ما بين هذين الاصلين اعني السامي والآري من التباين والبعد بحيث يصعب ردهما الى اصل واحد الامر الذي يسعى اليهِ المشتغلون بتوحيد اصول اللغات

وزد على ذلك ان طرق التعبير عند الفرنجة غيرها عند العرب وابسط ما يستشهد بهِ في هذا المقام اننا نحن المشارقة نقيس الابعاد بالساعات والايام ويقيسها الغربيون بالاميال والامتار وان كاتباً اميركيًا بعيد الشهرة والصيت (مارك تواين) جاء بلاد الشرق منذ عهد ليس ببعيد فلما وقف على كيفية قياس الابعاد هذا اغرب في الضحك وسأل مستغربًا ما اذا كان المشارقة يقيسون طول قاماتهم وثيابهم بالوقت كأَنْ يقولوا طول فلان اربع ثوانٍ وثخنهُ ثانية ونصف ثانية او ان طول ثوبهِ كذا ثوانٍ وعرضهُ كذا اجزاء من الثانية

وهذا شاهد بسيط على ان هنالك من التعابير في اللغات السامية والآرية ما لا يستطاع نقلهُ من الواحدة الى الاخرى لما تقدم من تباين اوضاع هذه اللغات واختلاف تصاريف الافعال فيها فللعرب صيغة واحدة للماضي مثلاً وللفرنسيين خمس صيغ وللانكليز اربع صيغ وقس عليهِ

وقد الف العرب عادات ومناظر ووُجدوا في احوال تختلف عن احوال الفرنجة فكانت النتيجة اختلافًا في الاذواق والآراء احدث هذا الفرق في اشعار الفريقين وكتاباتهم فما يعدُّ بليغًا عند العرب قد لا يحسب كذلك عند الافرنج ولو نقلنا الى الانكليزية هذا البيت

خطرات النسيم تجرح خديـــه ولمس الحرير يدمي بنانه

لوضع الانكليز اصابعهم في آذانهم حذر سماعهم اياهُ ثانية مع ان في البيت من المحاسن ما يطرب لهُ كل عربي . ولو نقلنا الى اللغات الافرنجية

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ بسقط اللوى بين الدخول فحومل

لضحك الاوربيون منهُ ولم يستطيعوا تفهم معزاهُ مع ان البيت مطلع اشهر قصيدة لاشهر شاعرٍ عربي وقد استغرق وصف محاسنهِ صفحات كثيرة من كتب الشراح واهل الادب

ولا يستطاع تبديل هذ الذوق الأبتربيتهِ وتهذيبهِ فترى المستشرقين من كتبة الاوربيين وشعرائهم يلذون لما يجدونهُ في اشعارنا وكتاباتنا من البلاغة والفصاحة وكذلك يطرب متأدبونا والمتخرجون منا في مدارس الفرنجة لدى مطالعتهم كتب القوم ووقوفهم على استعاراتهم وتشابيههم وما ذلك الاَّ لان كلاًّ من الفريقين نال ما نالهُ بالدرس وطول المزاولة حتى الف ما عند الفريق الآخر من الخيالات وطرق التعبير

ومما يزيدني ثقة بصحة هذا القول اعتبار الانكليز التوراة كابلغ ما خطهُ البشر مع ان لغة التوراة الاصلية العبرانية وهي من اللغات السامية وانما هم ألفوا قراءتها وتمثلوا الجبال والوهاد وحاسيات الحزن والفرح المدرجة فيها والوصف الذي وصفهُ كتبتها الى آخر ما يلقاهُ المرءُ في اسفار التوراة من شعر ونثر

ولما كان اللفظ ثوب المعنى يحسنهُ بحسنهِ ويقبحهُ بقبحهِ نقصت بهجة الاشعار الافرنجية لدى تعريبها وذبلت نضرة الاشعار العربية لدى نقلها الى لغات الافرنج .هذا ديوان البهاء زهير وهو آية في الرقة واللطف نقل الى الانكليزية والناقل شاعر انكليزي يعرف العربية وقد اسعفهُ شاعر عربي بليغ يعرف الانكليزية فجاءت الترجمة باردة ثقيلة مع التزام الناقلين ضبط المعنى وكون الترجمة الانكليزية شعراً

ويتمشى عين القول على شكسبير وهو امام الشعراء فقد بلغ من ميل الفرنجة الى كتابات هذا الشاعر ان الفرنسي او الالماني قد يجهد نفسهُ ويتعلم الانكليزية على ما في ذلك من وعورة المسلك لكي يقف على اشعار شكسبير في لغتها الاصلية مع ان اشعار الرجل مترجمة الى سائر لغات اوربا لكن العارفين يعلمون ان الترجمة تفسد كثيراً من جمال الشعر ورونقهِ هذا اذا ترجم الى لغة نسيبة الاخرى فما قولك لو نقلت اشعار شكسبير الى العربية وهي تبعد عن لغات اوربا بعداً شاسعاً

وقد ابي مترجم رواية التعساء (لفكتور هيكو) الى الانكليزية ان ينقل فصلين منها

الى تلك اللغة معترفاً بعجزهِ فمن لنا بمن ينقل هذين الفصلين الى العربية وهو يعلم ان طرق التعبير في الافرنسية تماثل طرقهِ في الانكليزية مماثلة كبيرة

ولا يراد بقولي هذا ان تعريب المقتطف لاشعار كبلنغ وتعريب لسان العرب لاشعار هيكو ناقصان وانما جلّ ما اقولهُ في هذا الشأن انني قرأت الاصلين في لغتيهما وقرأت التعريب واراني أَلذُّ بالاصل اضعاف لذتي بمعربهِ واللوم في ذلك غير عائد الى المعربين وانما ما تقدم من الاسباب هو مرجع الفرق بين الاصل ومعربهِ

وقد الف الافرنج من المناظر والخيالات والتشابيه ما لم نألفهُ نحن والعكس بالعكس فلو وقفت في ساحات لندن وباريس ورفعت عقيرتك وتغنيت بالرقمتين ووخد الابل وريح الصبا والمسك والعنبر وعقرب الصدغ وانشدتهم

وما اخضرَّ ذاك الخال نبتاً وانما لكثرة ما شقت عليهِ المرائرُ

لاصاب السامعين ما اصاب حضرة الاديب من انكارهِ على الشاعر الفرنسي رقص السحابة حول القمر . لكن الشرقي يرتاح الى جميع هذه فهو الذوق لا جدال فيهِ والعادة ليس من ينكر تأثيرها

ويستحيل على العربي معرفة الاسباب التي تحبب اشعار كبلنغ ومن شاكلهُ الى قومهم ما لم يكن عارفاً بلغة القوم وتاريخهم وتقاليدهم فقد نظم الرجل قصيدة اكراماً للجنرال السر اڤلن وود بعد حربهِ مع السودانيين عنوانها (فزي وزي) (Fuzzy Wuzzy) وصف فيها شجاعة السودانيين وما فعلوهُ بالجيش البريطاني ونظر بين افعالهم وافعال غيرهم من اهل الهند والترنسفال ممن حارب البريطانيين كل ذلك بالكلام العادي الذي يتداولهُ عامة الناس والطبقة الدنيا منهم فجاءت قصيدة مطربة بليغة في بابها وصنع لها احد الموسيقيين صوتاً فتغنى بها الانكليز والاميركان في نواديهم واعجبوا بمحاسنها شديداً ورددوا صداها في محافلهم ولو عربت القصيدة (مع استحالة الامر) بنغمتها لنفر منها الشرقيون وحكموا بان واضعها ذو جنّة ولو كلف شاعر عربي لوضع مثلها في الباب نفسهِ لاتى الموطن عن سبيل آخر وانما كلا الشاعرين يضرب الى غاية واحدة هي وصف شجاعة القوم بما يحدث تأثيراً في نفوس السامعين بتشابيه جديدة او مأنوسة كأن يذكر العربي منهما مواقع عبس وذي قار ويعدد الانكليزي حروب قومهِ مع الهنود والافريقيين كما فعل كبلنغ وتكون النتيجة ان العرب يستقبحون ما نظمهُ الانكليزي ويستخف الافرنج بما نظمهُ العربي اللهمَّ الاَّ الراسخين من الفريقين في اللغتين

ثم ان هنالك عيباً في انشاء المحدثين من الكتاب لا اراهم يحبون التملص منهُ وهو ذلك

السجع يلتزمونهُ في كتاباتهم وهو من مضعفات التركيب بما يلتزمهُ الكاتب من تقييد نفسهِ بلفظ قد يفيد المعنى المطلوب وقد لا يفيدهُ. ثم ان الرسالة اذا جاءت كلها مسجعة باتت على وتيرة واحدة مما يدفع القارىء الى الملل. ويستجب من السجع ما يأتي عفو القريحة متين الرصف او ان يكون هنالك نكتة كقول سماحة السيد " انظر الى الاستكانة بعد الصولة وقبر في جوفهِ دولة" وقوله " نابوليون وما نابوليون اسم ترك دويًا في كل قطر. كانما تداول سمع المرء انملهُ العشر" والاَّ جاء باردًا ثقيلاً كما هو الواقع في كثير من السجع حتى في مقامات الحريري ومن اشبههُ من فحول الكتاب

وفي رسالة حضرة الاديب شاهدان هما معرَّب وصف ميلاد نابوليون الثاني ورسالة سماحة السيد البكري في وصف مولود . ولسماحة السيد المقدرة في صناعة الانشاء ولهُ آيات في البلاغة احلتهُ محلاً رفيعًا بين كتاب العصر حتى بات وهو المشهود لهُ بانهُ راعي تلعات الفضل وانما يفضل معرَّب وصف ميلاد نابوليون الثاني رسالتهُ لا من حيث رصف الكلام فهو لا ينازعهُ في ذلك منازع ولكنها التخيلات افضلها في الاولى عليها في الثانية اذ يتمثل لي صورة في الواحدة منهما واعدم تلك الصورة في الاخرى فلا يخرج وصف سماحة السيد عن تشبيه المولود بالقمر والاسد والزهرة والدرة الى آخر ما ورد في الرسالة مما لا يؤلف صورة يرتاح اليها الخيال

ولا اخال العارف باللغتين الفرنسية والعربية يفضل رسالة السيد من حيث رصف الفاظها وتنميقها على قصيدة فكتور هيكو في الاصل الفرنسي اذ لا تخلو رسالة السيد من الفاظٍ ينفر منها السمع كالعكرمة والقعقاع والعذيق مما لا اثر لهُ في قصيدة هيكو

وفي قصيدة هيكو من سموّ التخيل ما لم يبقِ بعدهُ مجالاً لشاعر فهي تصف تمامًا عظمة نابوليون ومكانهُ من اوروبا ومن الامة الفرنسية لدن خضعت لهيبتهِ امم الارض ثم يستطرد الى وصف حاسياتهِ بعد الذي اوتيهِ من رفعة الشان وضخامة الملك ويتلو ذلك مقابلة ووصف لما تصير اليهِ حالة المرء مهما ارتفع شأنهُ وعظم امرهُ وفيها من دقة التعبير وسموّ المدارك ما هو ظاهر بحيث لا يستطاع ردُّه. كل ذلك بالعبارات التي تحدث في النفس الاثر المراد فان من يقرأُ القصيدة يتمثل لعينيهِ مجمع الامم الحافل وذلك السلطان محفوفًا بالعظمة والمجد . وما ابدع انتقال الشاعر الى قولهِ ثم كلمهُ صوت الشاعر من وحي الغيب . فقد يستطيع الكاتب الاتيان بمثلهِ لا يزيد عليهِ حسنًا وكم من كاتب تزل قدماه دون بلوغهِ هذه الدرجة من البلاغة

واما قول حضرة الاديب ان رسالة السيد في معني قصيدة هيكو فدليل على انهُ لم يحسن

تفهم كلام هذا الاخير اذ لا مماثلة بين الرسالتين فالاولى منهما موضوعها نابليون وساعتان احداها في معظم السؤدد والاخرى في مقام الهوان والثانية منهما تقتصر على ما يسرّ والداً اولد لهُ مولود فكتب اليهِ كاتب بليغ يعظم قدرهُ وقدر المولود ويتمنى للاخير منهما عيشاً هنيئاً ورفعة لما يعهدهُ في آبائهِ واجدادهِ من طيب الخلال والنزوع الى تطلاب المجد الخ

ولنعد الى ما خرجنا عنهُ من البحث . خذ مثلاً بيت المتنبي المشهور في الجزء الذي اختارهُ حضرة الاديب مثالاً والبيت

واذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز ان تموت جباناً

وانثر هذا البيت او انقلهُ الى احدى اللغات الاوربية فانك تستطيع الافصاح عن معناهُ تماماً وانما ينقصك شيءٌ تشعر بهِ في الحالين وذلك النقص مرجعهُ انتقاء الالفاظ العربية في البيت ورصفها معاً على نمط يستشعر معهُ المرءُ بالموسيقى الشعرية (اذا صحّت هذه التسمية) الامر الذي لا يستطاع في النثر او في احدى اللغات الافرنجية في هذا الشاهد وفي كثير من نحوهِ. وقد فطن كتاب الانكليز لهذا الامر بعينهِ فافردوا لهُ فصولاً في كتب البيان وسموهُ (harmony) اي المناسبة بين اللفظ والمعنى سواءٌ كان ذلك في اللفظ الواحد او في ما تركب من غير لفظ واحدٍ. ولم يفسح لهُ العرب مجالاً في كتبهم الاَّ في ما نصَّ عليهِ متأدبوهم من شروط الفصاحة في اللفظ الواحد او الالفاظ الكثيرة مما تراهُ في الفصل الاول من كل كتاب بيان

وشبيه بالفرق بين بلاغة العرب والفرنجة ما بين موسيقاهما من التباين فلا يطرب الافرنجي سوى موسيقى الافرنج ولا يرتاح المصري الاَّ الى سماع صوت عربي ومن العبث البحث عن ايهما افضل هذا الغناءُ او ذاك ما زالت الافضلية مرجعها في ذوق السامع لا في الموسيقى نفسها والاَّ فاذا حكَّمنا العارفين من الشرقيين بالموسيقى العربية والافرنجية وبلاغة العرب والافرنج فضلوا موسيقى الافرنج وبلاغتهم بالاجماع الاَّ في مواطن يشارك فيها العرب الافرنج او يفوقونهم بلاغة وطيب موسيقى

ولنا نحن العرب من كنوز البلاغة ما يعترف بفضلهِ الافرنج انفسهم وانما ابى بعض شباننا والمتأدبين منا الآن ان يرذلوا هذه اللغة وينقطعوا الى اللغات الاجنبية زعماً منهم ان اللغة العربية خلوٌ من المحاسن الشعرية وليس فيها من المعاني ما يصح الوقوف عليهِ وهو تفريح فيهِ كثير من الافراط وخير الامور ان يجمع المرءُ بين ما لذّ وطاب من مقول الفريقين لا ينقطع لواحد منهما

واني استميح حضرة الاديب عذراً وعفواً فقد نظرت في المسألة كمن هو عارف ميل مناظرهِ الى حرية القول والبحث ويشهد الله انني لا اقصد الغضّ من شأن هذه اللغة التي اخاف ان

يكون قد قضي عليها بالفناء فانا اعلق الناس بها حبًّا على ضعفٍ في القريحة وانما تنشط اللغة من عقال الضعف والسقم بهمة ادباء نظيرهِ وتنشيط بلغائهم القدح المعلى كسماحة السيد البكري وابحاث يتبين معها ما تحتويهِ هذه اللغة من المحاسن وما يجب على ادبائها من العمل لحفظها سالمة من الفساد ولنموها وتقدمها

ولعل هذا البحث يدفع بعض ادبائنا الى تعريب شيء من بليغ ما كتب الافرنج كاسيًا حلة عربية فيتضح لنا ما عند اخواننا الفرنجة من معجزات البلاغة والانشاء

ذات الاجراس وملك الحيات

للاستاذ داود ستار جوردان رئيس مدرسة لالند ستانفرد الجامعة

من ضعةٍ وجرأة وخُيَلا وكَرَب من غير احصاءٍ ولا
ولعنة من سالف الدهر على كل الافاعي تركتْها مثَلا
تسعى على الارض وتأْكل التراب
ومن لسان يحرق العشب ومن تمجُّ يخشى لظاهُ المستسنّ
صفاتكَ اللائي بها انت قمِن يا افعوان الشرِّ مَن منكَ أَمِن
فقد نجا من ميتة فيها العذاب

مترجمة من ابيات لبرت هرت

ذات الاجراس حيَّة رقشاءُ نضناضة حرشاءُ . وطنها كليفورنيا جبالها ووهادها وسهولها ونجادها . اوت الى جحر تحت صخر صلد اصم فنامت فيهِ فصل الشتاء كانهُ ليلة ليلاء . حتى اذا نزلت الشمس برج الحمل . وحلَّت عقد الصقيع عن السهل والجبل . خرجت من خباها وقد اضناها البرد والجوع تطلب الدفء في عين الشمس وتترصَّد فريسة تسدُّ بها الرمق. وكان الماء يترقرق عن يمينها وشلاَّلاتهُ تنصبّ في الوهاد والرياح تعبث بابر الصنوبر فتتقلقل كازلام ياسر . والطيور تسجع بنغم الحب غير خائفة سطوة كاسر . كل ذلك وذات الاجراس عنهُ غافلة لا تهتم الاَّ بما بها من البرد والعناء ولا تحسب ان احدًا ينظر اليها نظر الحب والولاء. لا سيما وانها كانت من اخبث الافاعي واقبحهنَّ منظرًا برأْس مصفح كتابوت الميت وذنب معقَّد كذنب الضب. حتى اذا فغرت فاها وابرزت نابيها واغمضت عينيها لتعلم ما بقي فيها القوة على الشر والمقدرة على الفتك زادت قبحًا على قبح وهولاً على هول

ولما خرجت من جحرها كان جسمها مشبّكاً لا يكاد يستطيع حراكاً لكن اشعّة الشمس فكّت قيودها ولينت عضلاتها وللحال طابت نفسها وشعرت بالجوع

وكان في اشجار الصنوبر القائمة امامها وحواليها سنجاب مخطّط يثب من شجرة الى اخرى ومن غصن الى آخر ثم نزل الى الارض وجعل يزم شفتيهِ ويزبئر ويعجب بنفسهِ كأَنهُ محور الكون ونقطة دوران العالم وكانت ذات الاجراس تنظر اليهِ شزرًا وترمقهُ من طرف خفي كانها تتحين الفرص للقبض عليهِ ثم حركت ذنبها وهو ابرد اعضاء جسمها لتعلم ما اذا كانت

حرارة الحياة قد دبت فيهِ فخشخش شديدًا ثماني عقد او ثمانية اجراس وزر في طرفها خشخشت كلها معًا كخشخشة السلاح فسُرَّت بصوتها واعادت الخشخشة تيهًا وعُجبًا وللحال ماجت الارض حولها بما فيها من الدواب والهوام بل من كبار الحيوان لانها سمعت صوت اجراسها فاركنت الى الفرار . ومَن لا يفرُّ من وجه ثعبان اذا لسع الجمل القاهُ صريعًا . فرَّت كلها الاَّ ملك الحيات فانهُ رفع رأْسهُ وفتح عينيهِ وتأهب للنزال تأَهُّب مَن يثق بالفوز القريب

ملك الحيات حيّة دقيقة تماثل ذات الاجراس طولاً وتقلُّ عنها ثخنًا جلدها املس برّاق ليس خشنًا مغضَّنًا مثل جلد ذات الاجراس ورأسها صغير جميل ولو في حيّة . وهي اجمل

الافاعي منظرًا راسها اسود كالزفت وعنقها ابيض كالثلج وجسمها كلهُ الى طرف ذنبها مغطًّى بالحقات بيضاء وسوداء وحمراء وهي ملساء براقة كانها خرجت من يد الصيقل

لما سمع ملك الحيات خشخشة ذات الاجراس انساب من بين اعشاب كانت تحجبهُ عن الانظار ودنا منها ففتحت عينيها ورفعت رأسها وحرَّكت اجراسها لكن ملك الحيّات لم يخشَ بأسها . ولكل حيّة مقتل ولولا ذلك لعاشت الى ما شاء الله وقتلت كل ما حولها من انواع الحيوان ثم ماتت جوعًا وانقرض نسلها

لما رفع ملك الحيَّات رأسهُ وتهيأَ للوثوب انحلَّت عزائم ذات الاجراس واطرقت اطراق الشجاع واطبقت فاها وانسابت نحو جحرها فقال ملك الحيات في نفسهِ قد حانت الفرصة فقزَّ ووثب عليها باسرع من البرق وقبض على عنقها وهو عزل من السلاح لاناب ولا حمة ولا مخلب وما كذاك يكون الشجاع لكنهُ شديد البأس رابط الجاش قوي العضل ولهُ اسنان صغيرة دقيقة يقبض بها على فريستهِ فلا يدعها تفلت منهُ . ولما لم ترَ ذات الاجراس سبيلاً لها اليهِ اطبقت فاها وادخلت مخالبها في اغمادها والتفَّ ملك الحيات على عنقها التفافًا وادخل بعضهُ في بعض كالانشوطة وجذب نفسهُ فوقص عنقها وتركها جثة لا يتحرك منها الاَّ ذنبها وذنب الافاعي يتحرَّك طويلاً . ثم انفك عنها وجعل يلحسها بشفتيهِ من رأسها الى ذنبها حتى غطَّى بدنها بلعاب لزج يسهّل عليهِ ابتلاعها وفغر فاهُ وشرع في ذلك فابتدأ برأسها وهو كبير يصعب عليهِ ازدرادهُ لكنهُ ظلَّ يضغطهُ حتى تمكن من ابتلاعهِ وكان السم يقطر في حلقهِ وهو يحسبهُ ماء الحياة حتى ابتلع عنقها وبدنها كلهُ الى ان وصل الى اجراسها وكانت لا تزال تخشخش فاتبعها الراس واستلقى على الصعيد تلك الليلة وجسمهُ ضعفا ما كان بالامس

ونهض السنجاب في الصباح ونظر الى مكان ذات الاجراس فرآهُ خاليًا فزم شفتيهِ ونفش شعر رأسهِ وتمايل عجبًا ولسان حالهِ يقول

انا ابن جلا وطلاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني

هذا ما كتبهُ العلاَّمة الاستاذ جوردان وافرغهُ في قالب قصَّة فكاهيّة وهو مثل كتابات كثيرة لهُ تلبس الحقيقة ثوب المجاز وتوضح غرائب الطبيعة في صور كسيت من البلاغة حلة الاعجاز . وسنحلي جيد المقتطف بمقالات اخرى من هذا القبيل

الاسكندر ذو القرنين

اعظم معارك الاسكندر

ختمنا الكلام في الجزء الماضي برجوع الاسكندر من مصر الى الشام وتدبيرهِ امور صور وايغالهِ في قلب اسيا . وها نحن موردون بقية تاريخهِ في هذا الجزء والذي يليهِ معتمدين على ما كتبهُ الاستاذ هويلر الاميركي في هذا الموضوع

لم يذكر كاتبو اخبار الاسكندر تاريخ قيامهِ من صور وايغالهِ في اسيا ولكن يظهر من بعض القرائن انهُ قام منها في شهر يونيو (حزيران) سنة ٣٣١ قبل المسيح فبلغ الفرات في اواخر يوليو وبعث امامهُ بالمهندسين لكي يقيموا لهُ الجسور على الفرات فلما بلغهُ وجد انهم اقاموا لهُ جسرين ولكنهم لم يوصلوهما الى الضفة المقابلة لانهُ كان فيها خمسة آلاف من جنود الفرس تمنع ايصال الجسور اليها. فلما علموا بوصولهِ خافوا منهُ واركنوا الى الفرار لان هيبتهُ كانت تتقدمهُ حيثما سار. فاتمَّ المهندسون الجسرين وعبر الاسكندر وجنودهُ . واسم المكان الذي عبروا منهُ تبساكوس وهو قرب المكان المعروف الآن بالرقة . والقوافل الذاهبة الى حلب الآن لا تقطعهُ من هناك بل من مكان الى غربيهِ يبعد عنهُ نحو مئة ميل

وكان الفصل صيفاً والحرُّ شديداً ورأى الاسكندر انهُ اذا نزل بجنودهِ في سهول الجزيرة اهلكتهم الحميات فعرَّج بهم نحو الشمال حتى بلغ جبال ارمينية وعلم من الفرس الذين اسرهم هناك ان داريوس ترك بابل وعسكر بجنودهِ على الجانب الشرقي من دجلة . وهناك مخاضة ظن ان الاسكندر يصل اليها ليقطع دجلة منها فعسكر امامها لكي يمنعهُ من عبورها وكان هناك طريق القوافل السائرة بين المشرق والمغرب ومخازن البضائع ومستودع الاموال . وقد تغيرت طرق التجارة من ذلك العهد الى الآن وحيثما انتقلت انتقلت معها الثروة والعزَّة الى ان ركبت اجنحة البخار برًّا وبحرًا فلم تعد البلدان التي تمرُّ فيها تكتسب منها شيئًا يذكر

لما علم الاسكندر ان داريوس قائم في انتظارهِ اسرع اليهِ وقطع دجلة من مخَّاضة غفل داريوس عن حراستها . ولما اتمَّ جنودهُ عبورها خُسف القمر فاوجسوا من ذلك شرًّا لكن ارستندر الكاهن عبَّر الخسوف بشرٍّ يصيب الفرس زاعماً ان الضحايا التي ضحَّاها حينئذٍ تشير الى بلادهم . ويظهر بالحساب الفلكي ان هذا الخسوف حدث في العشرين من سبتمبر (ايلول) سنة ٣٣١ قبل المسيح ولذلك فقد قضى الاسكندر نحو شهرين في بلاد الجزيرة مع ان المسافة التي قطعها لا تزيد على ٢٥٠ ميلاً

وكان داريوس قد جمع جيشاً ضخماً من كل اطراف مملكتهِ من السكيثيين والبلخيين والصغديانيين والاراخوسيين والعرب والارمن وقام قوادهُ سنة كاملة يدربونهم في فنون الحرب واساليب الكر والفر حتى حسب انهم فاقوا الجنود الذين كانوا معهُ في واقعة اسوس. وقد ذكر اريانوس انهم كانوا مليوناً من المشاة واربعين الفاً من الفرسان وهو من اكثر المؤرخين تدقيقاً واقلهم مبالغة . وكان في هذا الجيش مئتا مركبة يتصل بمحاور عجلها سيوف ماضية تحصد ما امامها حصداً وهي مما لم يستعملهُ الفرس في واقعة اسوس . واختار داريوس سهلاً فسيحاً لجنودهِ لكي لا يصيبهم ما اصابهم في اسوس حيث كان المجال ضيقاً عليهم ومهد الارض حيث رأى فيها اغواراً وانجاداً لكي يسهل على مركباتهِ الجري فيها

وتقدَّم الاسكندر وهو على اشد الحذر لانهُ كان في قلب بلاد العدو ووراءهُ نهر كبير وجبال شامخة وامامهُ جيش جرار كبير العَدد كثير العِدَد مدرَّب على اساليب القتال. وقام في اليوم الحادي والعشرين من سبتمبر وسار الهوينا ودجلة عن يمينهِ والجبال عن يسارهِ حتى اذا سار اربعة ايام عادت طلائعهُ اليهِ تقول انها رأت طلائع الفرس امامها فجدَّ فرسانهُ في اثرها فوجدوها الف فارس لا غير فناوشوها واسروا بعض رجالها ونزل الاسكندر هناك اربعة ايام لكي يستريح جنودهُ و يستعدوا لمنازلة الفرس وقام بهم ليل التاسع والعشرين من الشهر وسرى بقية الليل الى ان وقعت عينهُ على معسكر الفرس فجمع قوادهُ واستشارهم في الهجوم فاشار كثيرون منهم بهِ لكن بارمنيون وغيرهُ من القوَّاد المحنكين فضلوا ان ينزلوا هناك و يرسلوا فرساناً تستطلع احوال السهل لئلاَّ يكون فيهِ خنادق وترع واشراك اخرى يصادون بها. فغلب رأيهم ووقف الجيش في مكانهِ واختار الاسكندر كوكبة من نخبة فرسانهِ وسار بها ليستطلع ساحة القتال بنفسهِ ثم عاد وجمع قوادهُ واخبرهم بما رأى ونظم طريقة الزحف ثم امرهم ان يأكلوا وينا موا و يستعدوا للهجوم في الصباح التالي . وقد وصف فلوطرخس تلك الليلة وصفاً بديعاً قال ما ترجمتهُ

" في الليلة الحادية عشرة بعد الخسوف الذي حدث في شهر بويدروميون اقام الجيشان بحيث يرى احدهما الآخر داريوس وجنودهُ قيام باسلحتهم وهو يمرُّ بين صفوفهم يستعرضهم على نور المشاعل . والاسكندر وجنودهُ نيام وهو واقف امام خيمتهِ يضحي الضحايا لالاه الخوف مع ارستندر الكاهن. ولما رأى بارمنيون وغيرهُ من القواد السهل يموج بالمشاعل والنيران وسمعوا لغط اصوات العدو تحملهُ الرياح اليهم كأنهُ صوت امواج بحر خضمّ اعترتهم الدهشة وقالوا في نفوسهم ان مناجزة جيش عظيم مثل هذا في نور النهار هي الهلاك بعينهِ فدنوا من الاسكندر وطلبوا منهُ ان يأمرهم بتبييت العدو لكي يحجب الليل عنهم المخاطر . فاجابهم جوابهُ المشهور

"اني لا اسرق الظفر سرقةً"

ولما اتمَّ تقريب الضحايا نام بقية ليلتهِ ولم يستيقظ باكرًا على جاري عادتهِ حتى اضطرَّ قوادهُ ان يأمروا الجنود بالافطار ودخل بارمنيون خيمتهُ ونادادهُ ثلاثًا حتى استيقظ وقال لهُ اراك نمت نوم ظافر لا نوم مَن يرى امامهُ اعظم الجيوش واشد المعارك . فضحك الاسكندر وقال لهُ ألا ترى اننا ظفرنا بداريوس حينما خلصنا من مشقة التفتيش عنهُ في بلاد قاحلة"

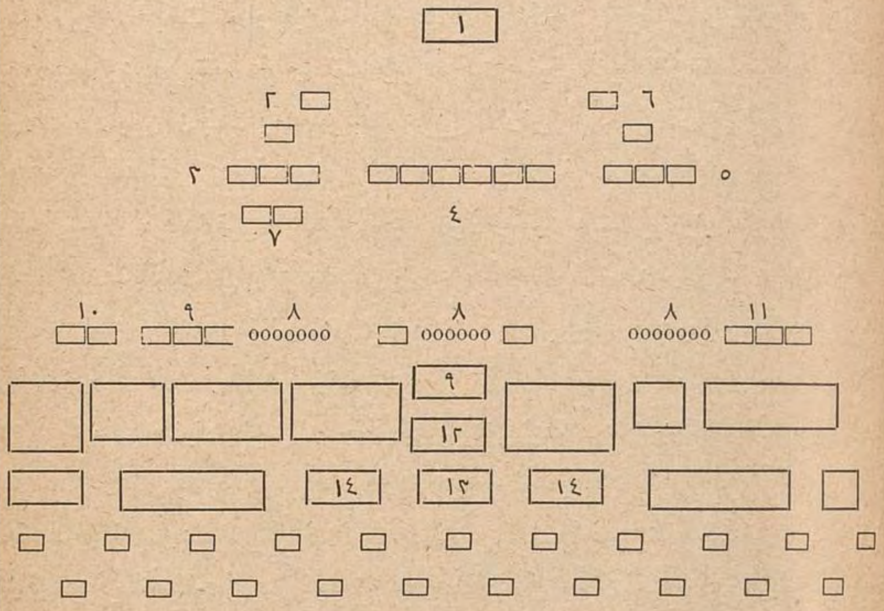

(١) امتعة جيوش الاسكندر — (٨) مركبات الفرس

(٢) حامية ميمنة الاسكندر — (٩) افيال الفرس

(٣) فرسان الميمنة — (١٠) فرسان السكيثيين والبلخيين

(٤) فيالق المشاة — (١١) فرسان الارمن والكبدوكيين

(٥) فرسان الميسرة — (١٢) الحرس الملكي

(٦) حامية الميسرة — (١٣) داريوس

(٧) الرماة — (١٤) مسترزقة اليونان

ونام جنود الاسكندر تلك الليلة واستراحوا ونهضوا في الصباح منتعشي القوى واما جنود داريوس فباتوا مستيقظين مستعدين للقتال خائفين من ان تبينهم جنود الاسكندر فلم تشرق الشمس عليهم الاَّ وقد خارت قواهم من السهر وانتظار الردى

وفي غرة اكتوبر (ت ١) سنة ٣٣١ قبل المسيح وقف الجيشان للقتال جيش الاسكندر وفيهِ اربعون الفاً من المشاة وسبعة آلاف من الفرسان وجيش داريوس وفيهِ اكثر من الف الف محارب فوقف جيش الاسكندر امام قلب جيش داريوس كما ترى في الرسم السابق ولم يستطع ان يمتد الى جناحيهِ وخاف الاسكندر ان يطبق عليهِ جناحا الفرس فيحيطا برجالهِ من كل ناحية فابقى فرقتين منهم وراء جناحيهِ حتى تنجداهما اذا دعت الحال الى ذلك ووقف هنيهة يرقب حركات العدو بعين القائد الخبير الى ان لاحت الفرصة فامر رجالهُ ان يتقدموا من جهة الميمنة لكي يقعوا على ميسرة الفرس فماجت صفوف الفرس لكي تقابلهم من تلك الجهة ورأى داريوس ان ذلك يبعد المركبات عن الارض الممهَّدة لها فارسل فرسان السكيثيين والبلخيين لتناوش ميمنة المكدونيين فقابلتها كوكبة من فرسان المكدونيين وناوشتها قليلاً ثم اضطرت ان تعود القهقرى ونجدتها كوكبة اخرى ولم تكد تصد فرسان الفرس حتى كانت المركبات قد اقبلت علي فيالق المكدونيين بمناجلها فخاف الاسكندر ان يرتاعوا منها ويختل نظامهم لكنها لم تفِ بالغرض لان المكدونيين قابلوها بسيوفهم وخناجرهم فبقروا بطون خيلها وقتلوا الرجال الذين فيها بحد السيف

ولما مالت صفوف الفرس الى جهة الميسرة لتقابل ميمنة المكدونيين انفرج قلبها ورأى ذلك الاسكندر فقال قد حانت الفرصة ودار بفريق من فرسانهِ اصحاب الرماح الطويلة نحو الشمال وقصد الى قلب جنود الفرس حيث كان داريوس فانقضَّ عليهِ بغتة كصاعقة من السماء وما زال هو وفرسانهُ يطعنون يمنةً ويسرة يوردون الابطال ويخطفون مهج الاقيال الى ان وصل فارس الى مركبة داريوس وطعن سائقها برمحهِ فالقاهُ صريعاً ورأى داريوس ذلك فاركن الى الفرار وارتدَّت الصفوف الامامية فاختلطت بالتي وراءها واستولى عليها الاضطراب والجزع

وكان البرثيون والهنود قد خرجوا من ميمنة صفوف الفرس وهجموا على صفوف المكدونيين في المكان الذي خرج منهُ الاسكندر وهجمت فرسان الارمن والكبدوكيين بقيادة مازيوس على ميسرة المكدونيين وكادت تفنيها فبعث بارمنيون الى الاسكندر يستنجدهُ ودار الفرسان الذين كانوا يحمون ميمنة المكدونيين وقابلوا البلخيين والهنود وردوهم على اعقابهم والتقى بهم الاسكندر وهو عائد لنجدة بارمنيون فصدَّهم عن الرجوع واثخن فيهم فلم ينجُ منهم الاَّ كل طويل العمر . وثبتت فرسان تساليا في ميسرة جيش الاسكندر امام فرسان مازيوس ثم ردَّتهم على اعقابهم قبل ما وصل الاسكندر لنجدتها فاركنوا الى الفرار مع بقية تلك الجحافل . وجدَّ الاسكندر ورجالهُ في اثرهم حتى كلَّت اذرعهم من الطعن والضرب وتعثَّرت خيلهم بالقتلى

والجرحى وسدَّ القسطل عنان السماء وخيم الليل على الغبراء

وكان الاسكندر قد عبر نهر ليكوس فأمر رجالهُ ان يناموا و يستريحوا الى منتصف الليل هم وخيولهم ثم قام واقتفى خطوات الفارين الى اربل[١] لكي يقبض على داريوس لكن داريوس وصل السير بالسرى ولم يقرَّ لهُ قرار حتى ابعد عن الاسكندر وامن وصولهُ اليهِ ووقعت مركبتهُ وقوسهُ ورمحهُ في يد الاسكندر كما وقعت في واقعة اسوس وبقي معهُ كوكبة من الفرسان البخاريين فقطع بها بلاد مادي واما سائر جنودهِ فتفرقوا ايدي سبأ واسر المكدونيون منهم الوفاً كثيرة ولم يحصِ احد عدد القتلى

هذه اعظم معركة من معارك القدم واكبر حادثة حوَّلت مجاري الامور وغيرت مصير الامم

ورأى الاسكندر ان اقتفاء خطوات داريوس يتعذَّر عليهِ حينئذٍ فعاد عنهُ وقطع دجلة ثانية وسار جنوباً الى بابل فرحَّب بهِ اهاليها عن طيب نفس كما رحَّب بهِ اهالي مصر لانهُ رفع عنهم نير الفرس . واكرمهم هو وامر ان يجدَّد بناء هيكل بعل وعبد فيهِ واصغى الى حكم كهنتهم ومشوراتهم . وكانت صور ومصر قد نبَّهتا في نفسهِ شعوراً جديداً ورغبةً في توحيد ممالك العالم فلما رأى بابل سيدة المدائن قوي فيهِ هذا الشعور وزادت فيهِ تلك الرغبة وكأنَّ تصاريف الزمن وضعتهُ في ذلك المنصب فأقام فيهِ مضطرًّا غير مختار

وسار من بابل الى السوس[٢] عاصمة بلاد الفرس فوجد فيها خمسين الف وزنة وهي تساوي ثلاثة عشر مليوناً من الجنيهات واوغل في بلاد الفرس وحارب المرزبان اريوبارزانس وقهرهُ واحتلَّ برسيبولس[٣] وبسارغادي[٤] وغيرها من العواصم. واذا صدق كرتيوس روفس وديودورس المؤرخان فقد وجد الاسكندر في المدينة الاولى مئة وعشرين الف وزنة وفي الثانية ستين الف وزنة ومجموع ذلك ١٨٠ الف وزنة وهي تساوي ٤٧ مليوناً من الجنيهات ووجد فيها ايضاً من الجواهر والحلى والرياش والآنية الذهبية والفضية حمل عشرين الف بغل وخمسة آلاف جمل على ما قالهُ فلوطرخس وجد ذلك كلهُ في قصر الملك

(١) مدينة صغيرة شرقي الموصل اشتهرت اولاً بانها مكان هذه المعركة والصحيح ان المعركة حدثت بقرب المكان المعروف الآن بيبت الجمل

(٢) السوس او شوشن عاصمة بلاد خوزستان المعروفة في التوراة باسم عيلام وهي من اعظم عواصم الفرس القديمة واكثرها خرائب

(٣) اي مدينة الفرس وهي عاصمة بلاد الفرس القديمة الى الشمال الشرقي من شيراز على ٣٥ ميلاً منها في الطريق الى اصبهان وقد سميت في كتب العرب اصطخر

(٤) مدينة من اقدم مدن الفرس تعرف خرائبها الآن باسم مرغب وهي الى الشمال الشرقي من اصطخر وعلى ٧٠ ميلاً من شيراز

واقام في برسيبولس فصل الشتاء واحرق قصرها قبلما خرج منها . وقد ذكر المؤَرخون فلوطرخس وديودورس وكرتيوس روفس خبر حرقهِ قال فلوطرخس " انهُ لما عزم الاسكندر على الخروج من المدينة واقتفاء آثار داريوس شارك ندماءهُ في الشراب وكان جواريهم معهم وبينهن قينة من اثاكيا اسمها ثايس وهي جارية القائد بطليموس الذي صار ملكاً على مصر بعد اذٍ فلما اكثروا في الشراب وطابت نفوسهم قالت انها نالت جزاء مالقتهُ من المشاق بتعاطيها كؤُوس الراح في قصر ملوك الفرس ولكن تزيد بهجتها اذا ابيح لها ان تحرق قصر زركسيس الذي حرق اثينا وتركها رماداً ولا سيما اذا كانت تضرم فيهِ النار بيديها امام الاسكندر حتى يقال في طول البلاد وعرضها ان جارية من الجواري اللواتي كنَّ مع الاسكندر انتقمت من الفرس واخذت منهم بثار اليونان اكثر ممَّا انتقم منهم القواد العظام برًّا وبحرًا . فصفق لها الحضور طربًا وشاركوها في ما طلبت وكانت الخمرة قد لعبت برأْس الاسكندر فنهض وعلى رأْسهِ اكليل من الزهر وفي يدهِ مشعال مضطرم وسار في اروقة القصر وتبعهُ ندماؤُهُ وهم طافحون سكرًا وذاع الامر بين المكدونيين فتبعوهُ بمشاعلهم وهم يكادون يطيرون فرحًا لانهم حسبوا ان حرقهُ للقصر دليل على انهُ عزم على العودة بهم الى بلادهم "

ولم يذكر اريانوس هذه القصة ولكنهُ ذكر ان الاسكندر اراد ان يحرق قصر ملوك الفرس انتقامًا منهم واعلانًا بانقراض دولتهم واستشار بارمنيون في ذلك فلم يشر عليهِ بهِ لكنهُ حرقهُ ثم ندم على فرط منهُ

وكان داريوس قد لجأَ الى اكباتانا(٥) وهي شمالي برسيبولس على خمس مئة ميل منها واقام فيها منتظرًا تصاريف الزمن حتى اذا عاد الاسكندر من بلادهِ او حلَّت بهِ نائبة من نوائب الدهر عاد ولمَّ شعثهُ والاَّ سار شرقًا الى هركانيا(٦) وبرثيا(٧) في الشمال الشرقي من بلاد الفرس. وبعث بنسائهِ وجواهرهِ ومركباتهِ التي يسافر فيها الى شعب في الجبال يسمى ابواب قزبين وهو في حدود مملكتهِ ولم يكن ينوي ان يعبرهُ الاَّ اذا فرغت جعبة حيلهِ وايقن انهُ اضاع بلادهُ كلها لان البلاد التي عبر ذلك الشعْب لم تكن من مملكة الفرس ولو كانت تعترف بسيادتها

ولما دخل فصل الربيع قام الاسكندر وسار نحو اكباتانا لانهُ ما دام داريوس حيًّا فلهُ منازع في الملك وهو يطمع ان يكون الملك الوحيد في مشارق الارض ومغاربها. وبلغهُ اولاً ان

(٥) مدينة قديمة كانت عاصمة بلاد مادي وعلى خرائبها قامت مدينة همذان في عصر الاسلام

(٦) عمالة على بحر الخزر تسمى الآن مزندران واستراباد

(٧) عمالة اخرى بين مادي وبلخ تفصل هركانيا بينها وبين بحر الخزر

داريوس جمع جيشاً آخر وفي نيته ان ينازله فسار على حذرٍ ثم علم انهُ لم يتهيأ لداريوس جمع ذلك الجيش ففرَّ من وجهه ومعه تسعة آلاف مقاتل وسبعة آلاف وزنة وذلك لاختلاف قواده رأياً فان نبار زانس قائد الفرسان وبسوس مرزبان بلخ ارتأيا ان تعطى القيادة العامة لبسوس ويلجأ داريوس الى بلخ فاضطرَّ ان ينقاد اليهما وصار كأنهُ اسير في ايدي مرازبته . وبلغ الاسكندر ذلك فصار همهُ كيف يخلصه من ايديهم . ولما رأى انهُ قد اتمَّ العمل الذي جاء اسيا لاجلهِ وهو الاخذ بثار اليونان والاستيلاء على مملكة الفرس عزم ان يصرف من شاء الانصراف من جنوده فصرف فرسان تساليا وغيرهم من الحلفاء اليونان ودفع اليهم اجورهم كلها الى حين وصولهم الى بيوتهم وفرَّق عليهم الفي وزنة فوقها ورضي ان يبقى معهُ من اراد البقاء منهم فيقاسمهُ السراء والضراء . والظاهر انهُ كان قليل الثقة باليونان فسهَّل لهم سبيل الرجوع الى وطنهم . وكان قد مرَّ عليهِ اربع سنوات من حين خرج من اوربا فضعف ارتباطه بها ولاسيما بعد ان اوغل في اسيا وزالت تلك الصورة الوهمية من نفسهِ التي صورتها لهُ حدَّة الشباب وقام بدلاً منها صورة اخرى اكبر واعظم فلم يعد قصده ان يتغلَّب الغرب على الشرق كما كان اولاً بل ان تنضمَّ ممالك المشرق والمغرب تحت راية واحدة

وابقى ستة آلاف من رجالهِ في اكباتانا لحراسة ما فيها من الاموال واخذ بقية جنودهِ المجربين وضرب بهم شرقاً فوصل الري بعد سير احد عشر يوماً وبلغهُ هناك ان داريوس عبر ابواب قزبين فامر جنوده ان يستريحوا خمسة ايام ثم قام بهم وجدَّ في اثرهِ فالتقى في طريقهِ برجل من امراء الفرس اسمهُ بجستانس اخبرهُ ان داريوس وقع اسيراً لان رجالهُ تركوهُ الواحد بعد الآخر ولم يبقَ معهُ الاَّ البلخيون والفان من مسترزقة اليونان ثم ابعد بسوس اليونان عنهُ واحاط بمركبتهِ هو ورجالهُ البلخيون فاوجس اليونان من ذلك وتقدَّم قائدهم الى المركبة وكلمهُ باليونانية وكان داريوس يفهمها واخبرهُ بما ظهر لهُ من مقاصد بسوس ففهم بسوس مراد القائد ولو لم يفهم كلامهُ فجاء داريوس في دجى الليل وكبلهُ بالقيود وحملهُ الى بلخ ولجأت مسترزقة اليونان الى الجبال المجاورة خوفاً من البلخيين وذهب معهم ارتابا زوس واولادهُ وكانوا قد اقاموا على ولاء داريوس

وكان من قصد بسوس ان يفتدي نفسهُ ورجالهُ بداريوس اذا ادركهم الاسكندر واذا لم يدركهم قتل داريوس واستولى على البلاد . فلما بلغ الاسكندر ان داريوس اسير في قبضتهِ اخذ نخبة فرسانهِ وجدَّ في اثرهِ نهاراً وليلاً الى ان ادركهُ بعد عناءٍ شديد وسير حثيث هلك فيهِ كثير من الخيل والفرسان. ورأى بسوس فرسان الاسكندر جادَّة في اثرهِ

طلب من داريوس ان يركب جواداً ويفر معهُ فابى فطعنهُ بخنجر اوردهُ حتفهُ

وجدَّ فرسان الاسكندر في اثر الفارين فرأوا سبائك الذهب والفضة تغطي الطريق ومركبات النساء ذاهبة فيها كل مذهب لا مَن يسوقها ولا من يقودها فلم يلتفتوا الى شيءٍ لان غرضهم داريوس وداريوس في مقدمة الفارين على ما قيل لهم واخيرًا ضلَّ واحد منهم الطريق فرأى مركبة بعيدة عنهُ اعتسفت بها البغال التي كانت تجرها فمضى اليها فرأى فيها داريوس في حالة النزع راهُ وقد طلب كاس ماءٍ من احد خواصهِ بولستراتس الامين فلما جاءهُ بها وشرب قال لهُ "لقد زدت كربة نفسي بانك منَنتَ عليَّ بمنة لا استطيع ان اوفيك اياها ولكن الاسكندر يوفيكها جازتهُ الآلهة عما عامل بهِ امي وزوجتي واولادي من المعروف واني اصافحهُ بواسطتك مصافحة الولاء" قال ذلك ومدَّ يدهُ وقبض بها على يد بولستراتس واسلم الروح . ولما وصل الاسكندر اليهِ وقف كئيباً كاسف البال ونزع رداءهُ عن كتفيهِ وغطاهُ بهِ

هكذا انقضت حياة هذا الملك العظيم وهو في الخمسين من عمرهِ وكان كريمًا جوادًا برًا برعيتهِ لو لم يولد الاسكندر في عهدهِ لبقي اسمهُ في التاريخ مثل اعظم الملوك ولو لم يكن من اشدهم بأساً واكثرهم اقداماً لكن الاسكندر قام حينئذٍ وسار في حروبهِ سيرًا يعجز داريوس وغير داريوس عن مجاراتهِ فيهِ

وقف الاسكندر امام مَن كان منذ اربع سنوات مالكاً على اسيا كلها من بوغاز القسطنطينية الى نهر الهند ولهُ الكلمة النافذة في كل ممالكها والسلطة المطلقة على كل ملوكها وقدمات وحيدًا شريدًا اغتالتهُ يد خائن من خواصهِ بعد ان ضاع منهُ ملكهُ . وكأن الاسكندر اتعظ بذلك ونظر الى خصمهِ نظر الكرام فامر ان يدفن في مدفن ابائهِ بما يليق بهِ من الابهة والاكرام

وتفاخرت مكدونيا باميرها ملكٍ بجاهِ الملك يدفن خصمهُ

على ما قالهُ اوفيد الشاعر الروماني

هذه خلاصة ما ذكرهُ مؤرخو اليونان والرومان في هذا الباب اما مؤرخو العرب فقال ابن خلدون منهم ان " الاسكندر بنى الاسكندرية ثم تزاحف مع دارا وهزمهُ وقتلهُ وتخطى الى فارس فملك بلادها وهدم مدينة الملك بها وسبى اهلها "

وقال ابن الاثير "ان الاسكندر خاف من حرب دارا فطلب الصلح فاستشار دارا اصحابهُ فاشاروا عليهِ بالحرب لفساد قلوبهم عليهِ فعند ذلك ناجزهُ دارا القتال فكتب الاسكندر الى حاجبي دارا وحكمها على الفتك بدارا فاحتكما شيئاً ولم يشترطا انفسهما فلما التقيا للحرب طعن

دارا حاجباهُ في الوقعة وكانت الحرب بينهما سنة فانهزم اصحاب دارا ولحقهُ الاسكندر وهو بآخر رمق وقيل بل فتك بهِ رجلان من حرسهِ من اهل همذان حبًّا للراحة من ظلمهِ وكان فتكهما بهِ لما رأيا عسكرهُ قد انهزم عنهُ ولم يكن ذلك بامر الاسكندر وكان الاسكندر قد امر مناديًا ينادي عند هزيمة عسكر دارا ان يؤسر دارا ولا يقتل فأُخبر بقتلهِ فنزل اليهِ ومسح التراب عن وجههِ وجعل رأسهُ في حجرهِ وقال لهُ انما قتلك اصحابك واني لم اهمم بقتلك قط ولقد كنتُ ارغب بك يا شريف الاشراف ويا ملك الملوك وياحر الاحرار من هذا المصرع فاوصي بما احببتَ فاوصاهُ دارا ان يتزوَّج ابنتهُ روشنك ويرعى حقها ويعظم قدرها ويستبقي احرار فارس ويأخذ لهُ بثارهِ ممن قتلهُ ففعل الاسكندر ذلك اجمع وقتل صاحبي دارا وقال لهما انكما لم تشترطا نفوسكما فقتلهما بعد ان وفى لهما بما ضمن لهما وقال ليس ينبغي ان يستبقى قاتل الملوك الاَّ بذمة لا تخفر . وكان التقاؤهما بناحية خراسان مما يلي الخزر وقيل ببلاد الجزيرة عند دارا "

ولقد سررنا برواية ابن الاثير ولو كانت قليلة الصحة لانها تدلُّ انهُ اهتمَّ بالنقل عن احد المؤرخين اما ابن خلدون الذي جاء بعدهُ فلا ندري ما اقعدهُ عن البحث والتنقيب وذكر شيء من تاريخ الاسكندر وهو يملأُ الصفحات الكثيرة من تاريخهِ بالخرافات والاوهام

مدينة الملح

يظن من يقرأُ عنوان هذه المقالة ان المدينة المشار اليها فيهِ مشهورة بتجارة الملح ولا يخطر بالهِ انها مدينة غريبة وحيدة في بابها منحوتة في قلب الارض في صخور من الملح الصلد وقد بذل العمال ما في وسعهم مدة الف سنة حتى حوَّلوا الظلمات الدامسة الى قصور زاهية يعجز عن وصفها القلم ونحتوا فيها مراقص واسعة وكنائس فخيمة وعروشاً كبيرة وتماثيل بديعة وثُريّات تحاكي الثريا في تألق نجومها وكلها منحوت في صخور عظيمة من الملح الابيض البرَّاق كما ترى في الصورة التالية. وهذه المدينة الغريبة في ادارة بلدية ويليكزا على ستة اميال من كراكو في بلاد النمسا وهي اعظم مناجم الملح في اوربا كلها

ابتدأ النحت في هذه المناجم سنة ١٠٤٤ وتزيد مساحتها الآن على ميلين وثلاثة ارباع الميل طولاً وفوقها بناية كبيرة فيها ادارة المركز وتحف كثيرة من آثار الرجال العظام الذين زاروا ذلك المكان . وكان الناس ينزلون الى المدينة برافعة تجرها الخيل فصاروا ينزلون

الآن برافعة مائية تصعد وتنزل بالضغط المائي على ان بعضاً يفضلون النزول على سُلَّم عريضة منحوتة في صخور الملح

ويكاد الزائر ولا يرى شيئاً عند نزولهِ الى المنجم حيث يكتنفهُ الظلام الدامس ويرعبهُ السكوت التام حتى يسمع وقع اقدامهِ فيظنهُ رعداً قاصفاً . فيدخل اولاً غرفة رحبة منحوتة في صخر من الملح يكاد يضيع فيها لسعتها وقد نحتت سنة ١٧٥٠ وجُعلت مرقصاً وسميت غرفة "ليتوسكي" باسم رئيس المناجم في تلك الايام . وفي جانب منها صورة نسر عظيم من الملح

يمثل قوة النمسا وسلطتها وفي جانب آخر منها عرش اخضر براق جميل الوضع بديع الصنع وهو من الملح ايضاً يجلس عليهِ الامبراطور عندما يزور المنجم . وعمق هذه الغرفة ٢١٦ قدماً تحت سطح الارض وهي في الطبقة الاولى من سبع طبقات متوالية الواحدة تحت الاخرى يفتح منها الطبقات الثلاث الاولى فقط للزائرين . ويخرج الزائر من هذه الغرفة مشهد البهجة والسرور ويدخل معبد القديس انطونيوس مزار الوف من المتعبدين والمتدينين منذ نحت سنة ١٦٩٨ . ترى مدخلهُ مرسوماً في الصورة وفي داخلهِ مذبح بديع الصنع عليهِ صورة

السيد المسيح مصلوباً وامام المذبح تمثال راهبين راكعين كل واحد الى جهة وفي المعبد مذابح أُخرى ايضاً وتماثيل كثيرة من القديسين نحتها كلها رجل واحد قضى عمرهُ في نحتها وتقام الصلوات عن نفس هذا الرجل مرَّة في السنة في يوم معين فيدخل المنجم الرهبان والمرتلون وجمع غفير من الناس في موكب حافل وهو منار بانوار كثيرة ومزدان بابهى زينة فيقضون النهار كلهُ فيهِ آكلين شاربين بعد ان يقيموا الصلوات

والى جانب هذا المعبد معبد آخر يسمى "معبد الملكة" نحت على جدار من جدرانهِ منظر بيت لحم وعلقت فيهِ ثريَّا من الملح تتلألأ كالبلور

وينزل الزائر من هذه الغرفة الى الطبقة الثانية من المنجم على سلّم منحوتة في صخور الملح فيدخل غرفة فسيحة يبلغ طولها ٩٢ قدماً وعرضها ٥٩ قدماً وعلوّها ١١٨ قدماً تمّ نحتها سنة ١٧٦١ بعد عناء اربعين سنة . وهي تنار الآن بثلاث مئة نور كهربائي وتعزف الموسيقى احيانًا فيها فيطرق الصوت جدرانها الضخمة ويدوي متصاعدًا في قبتها الشاهقة كالرعد القاصف . وفي الطبقة غرف أُخرى مختلفة الشكل تسمى كلٌّ منها باسم عظيم او كبير او ملك او امير وفي احدى جهاتها هرمان كبيران من الملح جُعلا تذكارًا للامبراطور فرنسيس الاول وقرينتهِ الامبراطورة كارولين

وفي الطبقة الثالثة من هذا المنجم محطة السكة الحديدية داخلها مطعم يأْكل فيهِ الزوار فاخر الطعام ويشربون معتق المدام ويدور القطار في كل انحاء المنجم على خطٍّ طولهُ نحو خمسة عشر ميلاً وبهِ ينقل ما يستخرج من الملح من كل انحاء المنجم الى المحطة حيث يرفع الى وجه الارض ويرسل في اقطار المسكونة . وتنار هذه المحطة بانوار لا يحصى عددها فتظهر كأنها منارة بشمس النهار والمنجم منار كلهُ بانوار كهربائية عديدة جدًّا تنار كلها او بعضها حسب رغبة الزوار وما يدفعونهُ من المال حتى اذا انيرت الانوار كلها ظهر المنجم في حلة من البهاء لا يتصوّرها الاّ من يراها وليس السمع كالعيان

ومن اعجب ما يراهُ الزائر في هذه المدينة بحيرات كبيرة على عمق ٧٠٠ قدم من سطح الارض ماؤُها أُجاجٌ اسودُ ثقيلٌ تسير فيها قوارب ضخمة البناء تجرُّ بحبال مربوطة في جوانب البحيرة فينزل الزائر قاربًا ويدور في كل انحاء البحيرة وهو مبهوتٌ من هول المنظر يرى الامواج تنبسط حتى تلطم جوانب المغارة فيسمع لها دويٌّ يخالهُ صراخ الاموات متصاعدًا من اعماق الجحيم والبحيرات كثيرة في كل انحاء المنجم

ويعمل في المنجم ما يزيد على الف عامل فيستخرجون ٦٥ الف طنّ من الملح في السنة

ومنهم من يولد ويعيش ويموت في تلك الاعماق وصحتهم جيدة لا يشكون مرضاً ولا ضعفاً وعندهم خيول عديدة لم تر وجه الشمس قط وهي لم يؤثر فيها ذلك الظلام الحالك بل تراها كسائر الخيل شكلاً ولوناً وطباعاً

نجيب صروف

مستقبل افريقية الجنوبية

تكاد الحرب تلقي اوزارها في جنوبي افريقية ويتحقق الفوز فيها للجنود البريطانية . ولا بدَّ من ان تفوز اخيراً لان الكثرة تغلب الشجاعة فكيف وهي من اشجع جنود الامم . ويليق بالباحث عن طبائع البلدان وما يُرجى لمستوطنيها من الخير فيها ان يبحث في طبائع تلك البلاد التي ستطلق فيها الحرية بعد هذه الحرب للاتجار والاستيطان وقد عثرنا على مقالة في هذا الموضوع لمحرر جريدة يوهنسبرج اليومية نشرتها جريدة السينتفك اميركان فلخصنا منها السطور التالية قال

جنوبي افريقية بلاد بركانية كما يظهر من وجود مناجم الماس فيها وهي افواهُ براكين قديمة . والارض من ساحل البحر الى مئة ميل وراءهُ جيدة التربة نوعاً فيها كثير من الآكام الصالحة لزرع الكروم. ووراء هذه الارض سهول منبسطة تنبت فيها الاعشاب والانجم فترعاها الغنم والبقر . ووراء السهول نجود مرتفعة تعلو خمسة آلاف قدم عن سطح البحر وهناك مناجم الذهب واصلها بركاني ايضاً مثل مناجم الماس . ووراءها نجود اخرى فيها كثير من المعادن وتغطيها المراعي الخصيبة

والبلاد كلها غنية بالمعادن بل هي اغنى بلدان العالم وفيها من كل المعادن المعروفة فالماس موجود بكثرة في كمبرلي وجاجرس فونتين وفي نهر الفال على سبعين ميلاً من كمبرلي وفي الترانسفال وبلاد زبدلي شمالي بريتوريا ورودسيا

والذهب وجد في جنوبي افريقية من قديم الزمن حتى ظن البعض ان شونالند هي اوفير المذكورة في التوراة وكان يؤتى بالذهب منها الى سليمان الحكيم . ووجد العرب الذهب فيها حديثاً سنة ١٥٠٠ للمسيح اي منذ اربع مئة سنة وهو يوجد الآن بكثرة في يوهنسبرج وكلركسدرب وباربرتون وكروجرسدرب وبلاد السوازي وبلاد الزولو وبلاد مارا ونماكو ورودسيا واماكن اخرى كثيرة

والفحم الحجري يوجد في مستعمرة الراس واماكن كثيرة وقد بلغ المستخرج منهُ سنة ١٨٩٨ نحو مليوني طن

والفضة توجد في كل جنوبي افريقية وتستخرج من مناجم بقرب بريتوريا وفي الطن من الحجر ما يساوي ١٣ ريالاً من الفضة

والنحاس كثير ايضاً وقد أُرسل منهُ ثلاثون الف طن الى بلاد الانكليز سنة ١٨٩٨. وفيها ايضاً الرصاص والزنك والانتيمون والقصدير والحديد والزيبق والاسبستس والميكا والملح والكبريت والكاولين وكثير من الحجارة الكريمة عدا الماس مثل الياقوت الاصفر والازرق والزبرجد والبجادي والفيروز والعقيق

اما ما يستخرج الآن من هذه المعادن والجواهر فتقدَّر قيمتهُ بالملايين الكثيرة فمناجم الماس في كمبرلي قدر ثمنها خمسة ملايين من الجنيهات وقد بلغ ربح اصحابها في السنة مليوناً ونصف مليون من الجنيهات بعد طرح كل النفقات . وبلغ الربح من مناجم الذهب سنة ١٨٩٨ خمسة ملايين من الجنيهات وكان الربح من بعضها ٦٧٥ في المئة اي ان السهم الذي اصل ثمنهِ مئة جنيه ربح في سنة واحدة ٦٧٥ جنيهاً

وخيرات الارض الزراعية اكثر من ان تنفد وتنبت فيها الحبوب والاثمار على انواعها وتبلغ قيمة الصادر منها والوارد اليها كل سنة نحو ثمانين مليوناً من الجنيهات على قلة سكانها فلا عجب اذا رغب اهل الجد والسعي في المهاجرة اليها بعد ان يستتبَّ الأَمن فيها

كاهن تشن كنج

وطرف من اسرار البوذيين

تشن كنج مدينة في قلب بلاد الصين على نهر ينغتسي وهي من المدن الثلاث والعشرين المفتوحة للتجارة الاجنبية سكانها نحو ثلثمئة الف نفس وفيها مقام رئيس الكهنة المسمى تشن تسو. اصلهُ من بلاد التبت ولقومهِ فيها سدانة الديانة البوذية وهم كهنتها ومقيمو شعائرها وكاشفو غوامضها. وقد اشتهر بعلمهِ وتقواهُ منذ كان في مدينة لاسَّا عاصمة بلاد التبت وكعبة الديانة البوذية فلما جاء بلاد الصين ذاعت شهرتهُ في اقطارها حتى اذا نزل مدينة تشن كنج اتجهت عيون الصينيين اليها وحسبوا ان الخيرات ستتدفق عليها لانهُ جعل اقامتهُ فيها. واعتقد بعضهم انهُ يناجي الالهة ويذاكرهم في امور العباد . فتقاطر الزوار الى هيكل تشن كنج من كل بلاد

الصين جاءوهُ بالالوف وهم لا يطمعون برؤية هذا الحبر العظيم لانهُ متحجب عن الانظار بل يقصدون ان يعبدوا الههم في حرمهِ حيث يحل شخصهُ المعظم عندهم

واحتجاب هذا الرجل عن الانظار جعل القوم يشيعون عنهُ اشاعات كثيرة في حد الغرابة على حسب معتقدهم فيهِ فقال بعضهم ان وجههُ لا يشبه وجوه الناس بل وجه الاله وقال غيرهم انهُ موسوم بسمة الهيئة خاصة وقال آخرون انهُ في شكل بوذه تماماً وسيظهر نفسهُ للناس في اجَل معين فيرونهُ ويندهشون ثم يصعد الى السماء امام عيونهم تحملهُ الارواح القدوسة التي تحدق بهِ الآن قائمة على خدمتهِ . واذا غلبت الاوهام الدينية على النفوس لم تقف خيالاتها عند حد محدود . وكان اسمهُ يذكر دائماً بالوقار والاحترام حتى بين رجال الحكومة في باكين ولو كانوا من المتهتكين الذين طرحوا شعائر الديانة البوذية ظهريًّا . واشاع البعض ان بوذه نفسهُ نزل من السماء وملأَ قلب هذا الكاهن بالحكمة السموية

وفي بلاد الصين رجل اوربي او اميركي اسمهُ كارلتون دو ربي فيها وتعلّم لغة اهلها ولبس لباسهم وتخلق باخلاقهم وهو مثل اكثر الاوربيين مغرم بالبحث والتنقيب فحدثتهُ نفسهُ ان يحاول رؤية هذا الكاهن ويكتشف الحيل التي خدع بها اهل بلادهِ لان سلطتهُ الدينية كانت قد تعدَّت حدودها وصار رجال الدولة يخشون بأسهُ ويوجسون منهُ شرًّا . وعرضت لهُ مهام منذ بضعة اشهر دعتهُ الى الايغال في بلاد الصين فقصد تشن كنج وقبل ان وصل اليها ادَّعى انهُ راجع الى شنغاي وودَّع معارفهُ ثم خرج من السفينة قبل ان سافرت بهِ واستأجر سفينة اخرى وصعد بها في نهر ينغتسي ذاهباً الى تشن كنج فعل ذلك ليوهم الناس انهُ غير ذاهب اليها وكان يخاف ان يبلغ خبرهُ هذا الكاهن فيوقع بهِ لان كهنة الصين يحسبونهُ جاسوساً في بلاط الامبراطور .قال ولما وصلت الى تشن كنج استأجرت نزلاً في حي حقير من احياء المدينة لكي لا يلتفت احد اليَّ وادَّعيت انني اتيت زائرًا وقصدي العبادة في الهيكل الكبير وخدمة الكاهن الاعظم . وكان صاحب النزل على جانب كبير من التقوى والورع فاخذ يطنب بفضائل هذا الكاهن وكراماتهِ واخبرني من امورهِ في ساعة اكثر مما يمكن ان اعلم عنهُ في سنة وانا في باكين لكن القصص التي قصها عليَّ مشحونة بالاوهام والخرافات فلا تستحق ان اذكر شيئاً منها وظهر لي ان سبب عظمة هذا الكاهن احتجابهُ عن الناس

فلبست لباس الكهنة الصغار وجعلت اتردَّد على الهيكل واصلي فيهِ مثلهم وانا اترقَّب الفرص عسى ان اجد سبيلاً لمشاهدة ذلك الكاهن العظيم . ورأيت الحراس منتشرين في كل مكان وحاولت ان ارشوهم بالمال فلم افلح والرشوة تفتح ابواب قصر الملك في باكين واما هنا فلا

يلتفت اليها احد لان الجميع يحسبون كاهنهم الاعظم فوق مصاف البشر

وتحت هذا الكاهن ثلاثة كهنة لهم المقام الاول بعدهُ ويلي كل واحد منهم كثيرون من الكهنة الصغار يسجدون لهُ ويأتمرون باوامرهِ . وأحد هؤلاء الكهنة الثلاثة شيخ شائب اللحية محدودب الظهر مهيب الطلعة يجلس غالباً على دكة عالية في الهيكل ويبارك الجمع ويجلس الكاهنان الآخران على جانبيهِ احدهما يجلس عن يمينهِ وهو شاب تلوح على وجههِ امارات الذكاء وسرعة الخاطر والآخر يجلس عن يسارهِ وهو شيخ قبيح المنظر وجههُ مشوَّه بندوب الجدري وقد كنت اخشى النظر اليهِ لسبب لا اعلمهُ وكنت احسبهُ اعظم الثلاثة واشدَّهم دهاء ولو جلس في اوضع مجلس . وبقيت رهبتهُ في نفسي الى ان شاهدت الكاهن الاعظم

وذات يوم كنا نصلي على جاري عادتنا واذا بالكهنة الثلاثة انتصبوا قياماً وبسطوا ايديهم في الهواء ثم انطرحوا على الارض وهم يقولون بصوت خاشع اسجدوا اسجدوا فقد جاء

وللحال خرَّ الجمع كلهُ على الارض وخررت معهم ولكني وضعتُ يدي على وجهي وجعلت انظر من بين اصابعي فرأيت الاستار انفتحت من وراء الكهنة الثلاثة وظهر من بينها رجل ملتف بثوب ابيض من رأسهِ الى قدميهِ وفي الثوب ثقبان امام عينيهِ تظهران منهما وعليهِ نقوش حمراء وقلادة من ذهب حول عنقهِ . ولما ظهر صرخ الكاهن القبيح المنظر "هو ذا الواحد الخفيُّ" فاخذت الجرأة بعض الحضور حتى رفعوا رؤوسهم ولحوهُ لمحة اما سائر الجمع فبقي خارًّا على الارض خاشعاً . ورفع هذا الكاهن العظيم يدهُ وبارك الجمع فزادوا تضرعاً وابتهالاً بصوت منخفض كأنهُ حفيف الرياح . ثم مدَّ يدهُ وباركهم ثانية وعاد من حيث اتى ونزلت الاستار وللحال رفع الجمع رؤوسهم وظلوا جاثين على ركبهم وهم يصلون ويتضرَّعون . وحاولتُ ان ارى شيئاً وراء تلك الاستار فلم ارَ ولا كنت ارى سبيلاً لرؤية ذلك الرجل المحتجب لكنني تدرَّعت بالصبر وعزمت ان اواظب على العبادة في ذلك المعبد عسى ان تتيح لي فرصة اخرى لرؤيتهِ

وبقيت اتردَّد على الهيكل وانا ازيد جرأةً يوماً بعد يوم وازيد اقتراباً من المحراب حتى انتبهَ لي الكهنة الثلاثة والتفتَ اليَّ الكبير منهم مرةً وبشَّ في وجهي وكأنهُ مدحني على ورَعي وتعبدي فزادت جرأتي وواظبتُ على العبادة يومياً وكان هذا الكاهن يبشُّ لي ويهشُّ كلما وقعت عينهُ عليَّ

وحدث ذات يوم انهُ لما انتهت الصلاة ونهض الكهنة عن كراسيهم ليدخلوا الى ما وراء الاستار وقع الكاهن الشيخ كأنهُ اصيب بفالج فامسك بكرسيهِ وقبل ان يصل الى الارض

اسرعت اليهِ وانهضتهُ وبادر الكهنة من انحاء الهيكل وتألبوا علينا فطلبت منهم ان يبعدوا لكي لا يحجبوا عنهُ الهواء ثم حملتهُ ودخلت بهِ داخل الاستار وانا اقول في نفسي قد حانت الفرصة لرؤْية ما وراءها . وفتح الكاهن عينيهِ حينئذٍ ونظر الى الجمع المزدحم نظر المسرَّة والشكر ونظر اليَّ كذلك فحنيت لهُ رأْسي وقلت اني اود ان ابقى في خدمتهِ بقية عمري فتبسم وسمح لي ان امضي معهُ الى غرفتهِ فشكرتهُ على هذه المنة وسرت ومعي الكاهنان الآخران فجزنا غرفة كبيرة وراء الهيكل ودخلنا سرداباً طويلاً وصلنا في آخرهِ الى درج صعدنا عليهِ واذا امامنا رواق كبير في وسطهِ فسقية يتدفق منها الماءُ وحول الرواق غرف كثيرة فوصلنا بالكاهن الى باب غرفة منها في طرف الرواق الشرقي واقبل كاهنان لمساعدتي على حمل ذلك الكاهن لما وصلنا الى الدرج فلما وصلنا الى باب الغرفة طأطأَا رأْسيهما وابعدا عنا وهما يسجدان في رجوعهما فالتفتُّ الى الكاهن ولما وقعت عيني على عينهِ تبسم وقال لي ساعدني يا ابني على دخول الغرفة فقلتُ هذا فخر كبير لي يا ابي . فقال لقد سرَّني ما رأَيتهُ في ابني من الخشوع والتقوى فقلتُ ان تنازل ابي هذا منةٌ كبيرة منهُ على عبدهِ الخاضع الامين

فتبسم ثانية ودار نحو باب الغرفة وفتحهُ فنظرت واذا غرفة خاوية خالية ليس فيها شيءٌ من الاثاث والرياش سوى حصير ملفوف قائم في احدى زواياها ووسادة من الخشب علامة الزهد الشديد . فقلت لهُ لا يصلح ان ينام ابي على وسادة مثل هذه . فلم يجبني بكلمة بل اخذ يتجسس الحائط الى ان وصل الى باب خفي ففتحهُ واذا وراءهُ غرفة أُخرى فدخل اليها وادخلني معهُ واغلق الباب واقفلهُ فنظرت واذا الغرفة رحبة فاخرة الرياش في وسطها مائدة عليها طعام واثمار شهية فعجبت من ريائهِ وكيف يتظاهر بالزهد والتقشف وهو عائش في نعيم مقيم

فقلت الى اين بعد هذا يا ابي فقال الى ذلك السرير حيث انتظر مشيئة الله . قال ذلك مشيراً الى سرير في طرف الغرفة. فقلت ومَن من الكهنة الثلاثة يطلب ذلك ولا يجاب طلبهُ. فقال يا حبذا . فقلت ان فضائل ابي كثيرة ولكل فضيلة منها الف جزاء في السماء . فقال وانا ارى لك حسن الجزاء ايضاً . فقلت حسبي جزاءً ان ابي راضٍ عني. فقال ان ابني يتكلم كلام حكمة وتعقل

ووضعتهُ على سريرهِ وادنيت منهُ المائدة وصحف الاثمار لكنهُ لم يمد اليها يدهُ بل بقي ناظراً الى سقف الغرفة وهو يتمتم وانا حائر في امري لا ادري كيف ينقضي ذلك اليوم ولا اين ارى رئيس الاحبار

وبينما انا افكر في ذلك التفت اليَّ وقال لي لقد حان الاجل وبلغتُ ظلمة الابدية وانا

ضعيف اليدين والرجلين امضِ واخبر اخوتي لكي يعدّوني لهـذا السفر الطويل . ثم تنهّد واغمض عينيهِ حتى حسبتُ ان ملاك الموت واقف فوق سريرهِ . فقلت لهُ لا تقل ذلك يا ابي فان طريق السماء ليس صعباً على من كان مثل ابي . فقال اني لم اقل انهُ صعب بل هو هين وقد مرَّت عليَّ سنون كثيرة وانا في انتظارهِ

فقلت ان الواحد العظيم الخفي الذي يخرق حجب الغيب صديق بوذه اذا طلب من معطي الحياة شيئاً لم يُرَد طلبهُ

ففتح عينيهِ ونظر اليَّ نظر الدهشة والاستطلاع ثم قال هل يتكلم الناس كثيراً عن الواحد العظيم الخفي . فقلتُ نعم ويحقُّ لهم ان يتكلموا وهو على ما اشتهر عنهُ من الفضل والتقوى . فقال اني لا استغرب ذلك . فقلت ولماذا يحتجب عن الانظار فان احتجابهُ عن اولادهِ المؤمنين مثل احتجاب الشمس عن الخلائق

فقال لايحسن بالمخلوقات ان ترى ما وراء الحجاب . اذهب الآن الى ذلك الباب وافتحهُ وسر في السرداب الذي يؤدي اليهِ ثم انزل في السلم الذي في آخرهِ واقرع اول باب عن يمينك

فقلت هل اتركك وحدك يا ابي . فقال اتركني ولا تخف . فقمت وسرت كما قال لي وانا مسرور بما حدث حاسب ان نجحت اكثر ممَّا كنت انتظر وان حيلتي جازت على اولئك الكهنة . وقويت آمالي برؤية رئيس الاحبار ولو كان دونهُ الف ستار وستار

وسرت في السرداب وكان الوقت مساء فكنت أتلمس تلمساً ان بلغت طرفهُ فوجدت فيهِ مصباحاً معلقاً بجانب الحائط فأخذتهُ بيدي ونزلت في السلم الى ان بلغت مكاناً عميقاً تحت الارض فدرت الى اليمين وقرعت اول باب وجدتهُ فانفتح وللحال هجم عليَّ اثنان نزعا المصباح من يدي وقبضا عليَّ واسرَّ واحد في اذني قائلاً اصمت فانك في حضرة الواحد الخفي العظيم . ودفعني الرجلان الى الامام ووقفا بي قليلاً ثم صرخ واحد واذا باثني عشر مصباحاً اضيئت معاً فالتفتُّ واذا انا في غرفة كبيرة جداً مملوءَة بالحرس من الكهنة وفيها دكة عالية عليها رئيس الكهنة الخفي العظيم جالس على عرشهِ وعن يمينهِ واحد من الكهنة الثلاثة وعن يسارهِ الكاهن الشيخ الذي كنت في غرفتهِ . فنظرتُ اليهِ مدهوشاً ونظر اليَّ وقال اراك مدهوشاً يا ابني فقلت نعم يا ابي اني مدهوش ومسرور بشفائك السريع ولكن لماذا عاملتموني هذه المعاملة . فقال لاننا نخاف منك انظر ما وجدناهُ معك واي حاجة بالمتعبّد الى مثل هذه الاسلحة قال ذلك وهو ماسك خنجري ومسدسي وكان اتباعهُ قد اخذوهما مني وانا في الظلام . فقلت ان غرضي الدفاع عنك يا ابي . فقال رئيس الكهنة اخسأ يا كلب انك كاذب ونحن نعلم انك جاسوس خائن

فاضطربت مفاصلي كلها وقد مرَّت بي مخاطر كثيرة قبل ذلك ولكنني لا اتذكر انني شعرت قط كما شعرت حينئذٍ . وادركت حالاً انني امام رجل داهية وعرفت لماذا وقعت هيبتهُ في النفوس . ولما رأيت اني مقتول لا محالة عزمت ان ادافع عن نفسي في الدقائق الباقية من عمري فقلت مَن قال ذلك ليأتِ ويجهر بالقول امامي فابين كذبهُ وغشهُ

فقال الكاهن الشيخ انا الذي قلت انا الذي شكاك

فاجبتهُ بصوت منخفض منكسر أأَنت ترتاب في اخلاصي يا ابي

فقال اعلم يا ابني ان سلطة رئيس احبار تشن كنج تشمل هذه البلاد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً فلا تخفى عليهِ خافية فما هو غرضك من مجيئك الى هيكل تشن كنج

فقلت غرضي هو ما ارجو ان انالهُ . فقال ولكنك ستنال غير ما ترجوهُ . فقلت ان ابي يتكلم بالغاز فليوضح لي مرادهُ . فقال اسمع ما اقول لك فتعلم قوة رئيس الاحبار وعظمتهُ . ان بين رجال الحكومة في باكين رجلاً اجنبياً يتزيَّا بازياء الصينيين ونحن نعرفهُ باسم جاسوس الامبراطور . هذا الرجل جاء هنكو في بعض المهام فبثثنا عليهِ العيون والارصاد فادَّعى انهُ ذاهب الى شنغاي ثم ترك السفينة التي كان ذاهباً فيها واستأجر اخرى جاءت بهِ الى تشن كنج واسم ربانها معروف عندنا وهو من انصارنا . وقد رأيناك وسرَّنا ما رأيناهُ فيك من العبادة والتقوى . وابنت انك رجل همَّة واقدام لما بادرت اليَّ وقتما اصابتني نوبة الاغماء . فلماذا خاطرت بنفسك وما هو غرضك

فأُسقط في يدي وكدت اذوب خجلاً لكنني شددت ما بقي فيَّ من العزيمة وقلت ان غرضي زيادة المعرفة

فقال واي معرفة . فقلت ان ارى وجه رئيس احباركم . فقال أَلا تعلم ان مَن يرى وجههُ يموت موتاً . فقلتُ ان مجد تلك الرؤية يزيل مخاوف الموت

فنظر الى الكهنة الذين حولي وقال لهم ما هو نصيب من ينتهك حرمة هيكلنا . فقالوا كلهم بصوت واحد الموت الموت

فنظر اليَّ وهو يتبسم وقال وانت ماذا تقول . فقلت لا اقول شيئاً ولكن الامبراطور يعرف اين انا وسيأخذ بثاري ممن يقتلني . فتبسم ثانيةً وقال ان غضب الامبراطور يقصر عن ان يصل الى هيكلنا والظاهر انك نسيت سلطة تشن سو رئيس الاحبار . ثم اشار بيدهِ الى الكهنة الذين حولي فاوثقوا يديَّ بالحبال وربطوني الى الحائط وخرج الكهنة كلهم من الغرفة ولم يبقَ فيها غير الرؤساء الثلاثة ثم نزل الكاهن الشيخ ونظر الى الباب الذي خرجوا

منهُ فرآهُ مقفلاً وحينئذٍ نزل رئيس الاحبار عن عرشهِ ودنا مني وقال لي ألم يزل من غرضك ان ترى رئيس الاحبار فقلت نعم فقال وما انتفاعك من رؤيتهِ وقد دنا اجلك وانت اول رجل ملحد دخل هذا الهيكل وآخر من يدخلهُ من الملاحدة ولكني اود ان يكون موتك جزاء رؤيتك رئيس الاخبار الواحد الخفي العظيم فانظر اليهِ قبل موتك. قال ذلك ونزع طوق الذهب من عنقهِ وازاح البرقع عن وجههِ فنظرت واذا هو الكاهن القبيح المنظر الذي في وجههِ ندوب الجدري. فقلت أأنت رئيس احبار تشن كنج . فقال كلاَّ فان ذاك مات منذ خمس عشرة سنة ولكن روحهُ عائشة فينا نحن خلفاؤهُ الاربعة فنتناوب الخلافة وهذا سر غامض لا يعلمهُ احد سوانا

ولم اكن اجلّ اولئك الكهنة عن شيء من انواع الخداع ولكن لم يخطر ببالي قط انهم يقدمون على مثل ذلك يخفون موت رئيسهم خمس عشرة سنة ويسيرون باسمهِ وجاههِ

ثم فارقني الكهنة الثلاثة لينظروا في كيف يميتونني واخذوا مشاعلهم معهم وتركوني في ظلام دامس. ولا اطيل في وصف ما اعتراني حينئذٍ لان الكلام يقصر من الوصف . ومرت بي ساعة حسبتها شهرًا واخيرًا فُتح الباب ودخل رجل معهُ كانون فيهِ جمر نار فوضعهُ على مقربة مني وكان في الكانون ملقط طويل محمىً الى الحمرة فاشار اليهِ ولسان حالهِ يقول سنعذبك عذابًا اليماً قبل موتك . ثم خرج واغلق الباب وللحال اعتراني شيء من الجنون فاخذت احاول قطع الحبال من يديَّ حتى تفككت مفاصلي وتمزقت اوصالي وانا لا ابالي بالالم وما زلت اجذب الحبال حتى قلعت الوتد من الحائط فاكببت على وجهي وكانت يداي لا تزالان مربوطتين ونهضت بعد عناء شديد ودنوت من الكانون ونزعت الملقط باسناني وادنيت طرفهُ المحمى من الحبل الذي على احدى يديَّ فحرقتهُ بهِ وحرقت اللحم تحتهُ ولكن الحياة عزيزة تفتدى بكل عزيز . ثم امسكتهُ بها وحرقت الحبل عن اليد الاخرى وجعلت افرك يديَّ حتى اعدت الدم اليهما واخذت افتش عن منفذ اخرج منهُ فلم اجد . وبعد قليل سمعت قلقلة القفل فوقفت في مكاني الاول وفُتح الباب ودخل الكاهن الذي اتى بالكانون ومعهُ سلة فيها فحم فالتفت اليَّ ثم انحنى فوق الكانون وجعل يضع الفحم فيهِ فهجمت عليهِ باسرع من لمح البصر وعاجلتهُ بضربة على ام رأسهِ القتهُ صريعاً وخطفت الكانون وخرجت واقفلت الباب ورائي وجعلت اجري على السلَّم التي نزلت عليها وسرت في السرداب الى غرفة الكاهن الشيخ وقرعت الباب ووقفت على جانب ففتحهُ وهو يقول هل اعددت كل شيء يا اخي فقلت نعم ودخلت مسرعًا واقفلت الباب ورائي وقلت لهُ انك شيخ عاجز ولا اريد ان الحق بكَ ضررًا ولكنك اذا فتحت فاك قتلتك حالاً

فدهش حتى كاد يغمى عليهِ والتفتُّ واذا مسدسي وخنجري على مائدتهِ فوثبت اليهما واشرعت الفرد في يدي وامرتهُ ان يسير امامي من غير ان يفوه بكلمة والاَّ قتلتهُ وكنت لابساً لبس الكهنة كما تقدم فلم ينتبه احد لي وبقينا سائرين الى ان خرجنا من الهيكل ووصلنا الى دار رئيس الشرطة. وسرَّ رجال الحكومة بما فعلت لانهم تخلصوا من كاهن تشن كنج واستبدادهِ

باب الزراعة

المعرض الزراعي

للزراعة دعائم كثيرة تعتمد عليها والمعارض الزراعيّة من اقوى هذه الدعائم لانها ميدان للمنافسة والمسابقة ومدرسة للاختبار والاعتبار . ولقد حيينّا المعرض الزراعي المصري في نشأتهِ بعد ان مرَّ على المقتطف سنون كثيرة وهو ينادي بانشاء مدرسة زراعية ومعرض زراعي. ووطننا النفس على ان نرى لذلك المعرض بناءً فخماً تعرض فيهِ آلات الزراعة كما تعرض غلاتها فتمَّ ذلك وبُني المعرض من كرم الحكومة بين ميدانَيْ الجزيرة وفُتح في التاسع من شهر فبراير (شباط) بحضور الجناب العالي وامراء البيت الخديوي الكريم ونظار الحكومة المصريّة وقناصل الدول الجنراليَّة والمحافظين والمديرين وجمهور غفير من كبار المستخدمين ووجهاء القطر وكانت ساحتهُ مزدانة بالاعلام الكثيرة تحيط بها خيام المعروضات المختلفة من مثل الآلات الرافعة وادوات الحراثة والدرس والغربلة وانواع الاسمدة واصناف المواشي الاهلية والمجنسة . وداخل البناء معروضات الحاصلات الزراعية على انواعها كالقطن والقمح والشعير والذرة والفول .وهي كثيرة الاصناف والتنوُّعات

والمعروضات التي تستوقف النظر كثيرة نذكر بعضها اجمالاً فمنها الآلات الرافعة على انواعها بين وابورات ثابتة ومتحركة كبيرة وصغيرة يتدفق الماءُ من طلمباتها وبين سواقٍ مصنوعة على اسلوب قليل النفقة . وآلات للحرث والتخطيط والتزحيف والتمهيد والضم والدرس وبعضها كآلات الحرث مصنوع لهذا القطر خاصّة

ومنها المصنوعات الزراعية مثل السكر والزبدة والحرير والرامي . ومما يحسن ذكرهُ في هذا الصدد ان معمل الشيخ فضل اهتم بزرع البنجر (الشمندور) السكري فوجد انهُ يجود في

هذا القطر . وهو يزرع من ابريل الى ١٥ نوفمبر ومحصول الفدان من ٤٠٠ قنطار الى ٦٠٠ والسكر فيهِ من ١٧ الى ١٨ في المئة مع ان السكر في القصب من ١٣ الى ١٤ في المئة فقط وسكر البنجر مثل سكر القصب ثمناً . والظاهر ان بنجر السكر يجود في هذا القطر اكثر مما يجود في اوربا فان متوسط وزن الراس في اوربا ٤٠٠ جرام واما متوسط وزنهِ هنا فنحو ٦٨٠ جراماً

ومنها مصنوعات السجون المصرية وهي من ابدع ما عُرض في المعرض ولو كانت علاقتها بالزراعة قليلة . و يستدل منها على ان سجون القطر المصري اصبحت مدارس صناعية يتعلَّم فيها المسجونون انفع الصنائع كالنجارة والحياكة وعمل الاحذية والسروج والبرشات والماسح وما اشبه. ومصنوعات النجارة والتطعيم بالغة حد الاتقان فترى الكراسيّ والمقاعد والموائد والخزائن والرفوف والبراويز من شغل المشربية المطعَّم بالابنوس والعاج والعظم وعرق اللؤلوء وكلها مرسومة بالاشكال العربية الدقيقة. وترى هناك مصنوعات اخرى فضية ونحاسية بديعة النقش والزخرفة واقمشة واسفاطاً ومراوح وما اشبه وكلها غاية في الجودة والاتقان . ولا عجب بعد هذا اذا دخل الرجل السجن شقياً كثير الضرر وخرج منهُ عارفاً بصناعة يعيش منها و يغنيهِ دخلها عن اختلاس مال غيرهِ

ومنها معروضات التنظيم وهي مصنوعة في ورش الحكومة وبالغة حد الاتقان

ومنها معمل صغير لحل الحرير ترى فيهِ الشرانق توضع في الماء الغالي فتنحل خيوطها وتلف على دولاب يدور امامها . واذا نجحت زراعة شجر التوت في هذا القطر ونجحت تربية دود الحرير ايضاً كان لهذه الصناعة شأن كبير فيهِ

ومنها سكة حديدية صغيرة تسير بالكهربائية كما يسير الترام الكهربائي عرضها المستر كوبل. وسكة اخرى من محل اورنستين و كوبل تسير مركباتها بآلة بخارية حول ساحة المعرض يركب فيها جمهور غفير فتدور بهم حول ساحة المعرض ثم تردهم وهي من السكك التي في احد تفاتيش دولتلو البرنس حسين باشا كامل وقد تنزه فيها اكثر الذين حضروا المعرض

ومنها معروضات السماد الصناعي وهي كثيرة مختلفة وقد قال بعضهم انهُ سمد ١٥٠٠ فدان مزروعة قطناً بسمادها فبلغ متوسط غلة الفدان ١١ قنطاراً

وكانت الثيران المعروضة كثيرة بعضها ضخم جداً وهو اوربي و بعضها معتدل الجسم مجدول العضل وهو مجنس اي من اب اوربي وام اهلية . وكذلك الخرفان وبعضها كبير غزير الصوف طويلهُ والبغال قوية مجدولة العضل

وجملة القول ان هذا المعرض يزيد عاماً بعد عام وفاءً بالغاية التي انشيء لاجلها و يعود

بالشكر الجزيل لدولة الامير الخطير البرنس حسين باشا كامل رئيس الشركة الزراعية لاهتمامهِ الشديد بكل ما يرقي شأْن الزراعة في هذا القطر ولحضرة المستر كاري والمستر فودن العالم الزراعي اللذين بذلا الجهد في انشاء المعرض وادارتهِ ولكل الذين عاونوهما في ذلك من اعضاء الشركة وغيرها وللحكومة الخديوية التي تنفق بسخاءٍ على هذه الاعمال النافعة . لا زالت مصر راقية مراقي الفلاح وسائرة في سبيل النجاح في ظل اميرها المعظم و باهتمام هذه الوزارة الحكيمة

جوائز البقر

واعطيت جوائز كثيرة للعارضين حسب انواع المعروضات ودرجتها فاعطيت جائزة الثيران الاهلية الاولى لثور اهلي عرضهُ مصطفى باشا وهبي مدير الدقهلية والجائزة الثانية والثالثة لثورين عرضتهما الدائرة الخاصة

واعطيت الجائزة الاولى والثانية والثالثة لثلاث من البقر الاهلية الحلوبة عرضتها الدائرة الخاصة . وهي جوائز البقر الاهلية الحلوبة

والجائزة الاولى لثور من المواشي البحيرية عمرهُ ثلاث سنوات عرضتهُ الدائرة الخاصة والجائزة الثانية لثور عرضهُ بوغوص باشا نوبار . والجائزة الاولى لثور خصي عمرهُ ثلاث سنوات عرضهُ شواربي باشا والثانية لثور عرضهُ عبد المجيد بك ابو جازية

والجائزة الاولى والثانية لعجلتين بحيريتين عرضتهما الدائرة الخاصة . والجائزة الاولى والثانية لعجلين صغيرين عرضتهما الدائرة الخاصة ايضاً . ولم تعرض البقر الصعيدية في المعرض

والوسام الذهبي لثور اوربي عرضتهُ الدائرة الخاصة والجائزة الفضية لثور اوربي عرضتهُ دائرة درانت باشا . والوسام الذهبي لبقرة اوربية عرضتها الدائرة الخاصة والفضية لبقرة اوربية عرضتها دائرة درانت باشا

واعطيت الجائزة الاول لثورين مجنسين عرضتهما دائرة القصر العالي والدائرة الخاصة والجائزة الثانية لثورين عرضتهما دائرة البرنس حسين باشا ودائرة درانت باشا . والوسام الاول والثاني لبقرتين مجنستين حلوبتين عرضتهما مدرسة الزراعة. والوسام الاول لعجل مجنس عمرهُ اقل من سنة عرضتهُ الدائرة الخاصَّة والثاني لعجل مجنس عرضتهُ مدرسة الزراعة . والجائزة الاولى والثانية لعجلتين مجنستين عرضتهما الدائرة الخاصَّة

والوسام الذهبي والفضي لعجلين مسمنين عرضهما المسيو ستمنا حيوفني. والجائزة الثانية لجاموس عمرهُ اكثر من ثلاث سنوات عرضتهُ شركة اراضي ابي قير . والجائزة الاولى لجاموسة حلوبة عرضتها الدائرة الخاصَّة والثانية لجاموسة عرضها شواربي باشا

الغنم

المريسي — اعطيت جوائزهُ للدائرة الخاصَّة والبرنس حسين باشا واسمعيل بك دبوس ومدرسة الزراعة وستنا جيوڤني وبدربدر

البلدي — اعطيت جوائزهُ لشواربي باشا ومصطفى باشا وهبي واسمعيل بك دبوس ومدرسة الزراعة وخليل باشا فوزي

والمجنَّس — اعطيت جوائزهُ لدائرة درانت باشا وهي من الدرجة الثانية ولم يعطَ شيءٌ من الدرجة الاولى لاحد لان المعروضات لم تستحق ذلك

المعزى

البلدي ليوسف بك احمد . والزرابي للدائرة الخاصة . والاجنبي للدائرة الخاصة ايضاً

البغال

اعطيت جوائزها لبغلين عرضتهما مصلحة التنظيم و بغل عرضهُ مصطفى باشا وهبي

الحمير

اعطيت جوائزها لحمير عرضتها الدائرة الخاصة

الجمال

اعطي الوسام الاول لجمل عرضهُ الشواربي باشا والثاني لجمل عرضهُ محمد بك ابو جازية

الدجاج

كانت المعروضات كثيرة والجوائز كثيرة ايضاً واكثرها لبوغوص باشا نوبار والبرنس عمر طوسن ومسز الن جوزف وبونيتو بك

الحبوب

جائزة القمح الصعيدي الاحمر لخليل باشا فوزي . والابيض الاولى لعلي بك شعراوي والثانية للبرنس عمر طوسن . والشعير البلدي الاولى لبوغوص باشا نوبار والثانية لعلي بك شعراوي . والاوربي المزروع في مصر الاولى لمدرسة الزراعة

والفول البحيري الاولى لاسكندر بك شديد والثانية لرياض باشا . والصعيدي الاولى لعلي بك شعراوي والثانية لاحمد بك دله

والذرة البلدية الجائزة الاولى للخواجه اصلان زجدون والثانية لمهدي بك احمد

والذرة الاجنبية المزروعة في مصر الجائزة الاولى والثانية لبوغوص باشا نوبار

الذرة البيضاء الاولى لابي زيد افندي طنطاوي والثانية لعلي بك شعراوي

الارز اللباني الاولى لاحمد بك دله والثانية لاحمد بك حبشي. والارز الصبريني الاولى لبوغوص باشا نوبار والثانية لحسن بك شمسي ولبقية انواع الارز الاولى لبوغوص باشا نوبار والثانية للخواجه انطون صباغ

ستأتي البقية

النجاح في العام الماضي

لم ترد الينا تقارير دوائر الحكومة المختلفة حتى الآن التي يستدلّ منها على تقدُّم القطر المصري في العام الماضي ولكن وصلنا تقرير الجمارك عن شهر دسمبر وفيهِ ان قيمة الواردات في العام الماضي بلغت ١١٢١٦٤٠٥ جنيهات وكانت في العام الذي قبلهُ ١٠٨١١١٥٤ جنيهاً وقيمة الصادرات في العام الماضي بلغت ١٥٣٤٢٤٩٤ جنيهاً وكانت في العام الذي قبلهُ ١١٧٩٦٢٥٨ . فبلغت الزيادة في الوارد ٤٠٥٢٥١ جنيهاً وفي الصادر ٣٥٤٦٢٣٦ جنيهاً اي بلغت الزيادة في الصادر والوارد نحو اربعة ملايين من الجنيهات وهي دليل على نجاح لا مثيل لهُ في سنة من السنين الماضية ولا سيما لأن اكثرها في الصادر . وغنيٌّ عن البيان ان اكثر هذه الزيادة نتج من ارتفاع ثمن القطن . ولا يبعد ان تبلغ الزيادة في ثمن موسم القطن وحدهُ ستة ملايين من الجنيهات او اكثر ولو لم يبع الجانب الاكبر منهُ قبل ارتفاع الاسعار لبلغت الزيادة عشرة ملايين من الجنيهات او اكثر

النيل وزراعة القطن

بلغ انخفاض النيل هذا العام مبلغاً لم يبلغهُ في سنة من السنين التي سجل قياسهُ فيها وهذا الانخفاض عام من مصادر النيل في البحيرات الاستوائية الى مصباتهِ في البحر المتوسط ويخشى ان ينقطع الماءُ من عند اصوان في شهر ابريل المقبل فلا يبقى لري القطر المصري الاَّ المجموع في النيل من اصوان الى البحر المتوسط . لكن مصلحة الري استعدَّت لذلك باعتمادها على منع زرع الارز والماءُ الذي يقتضيهِ يكفي ري نحو اربع مئة الف فدان من القطن فاذا فعلت ذلك واخرت اطفاءَ الشراقي او منعت اطفاءَها تماماً فلا يبعد ان يكفي الماءُ الباقي في النيل لري القطن الذي يزرع عادة في هذا القطر او لري ثلثيهِ على الاقل . وهي تحاول منع اهل الزراعة من زرع كل القطن الذي كانوا يزرعونهُ ولا سبيل لها الاَّ فرض المناوبة في الري وقد فرضتها من نصف شهر مارس واباحت للآلات الرافعة ان تدور من خمسة ايام الى سبعة

على حسب اختلاف المديريات ثم تنقطع عن الادارة المدة التي يحتملها نبات القطن من غير ماء وهي محدودة ايضاً. ويقال ان الآلات الرافعة لا تروي في ايام الادارة الاَّ نحو ثلثي الاطيان التي تزرع قطناً عادةً فاذا تمَّ ريُّها الى ان يرد ماء الفيضان وورد في ميعادهِ او قبل ميعادهِ بلغ الموسم المقبل اربعة ملايين من القناطير او حواليها وهو في الاسعار الحاضرة اصلح للقطر من سبعة ملايين قنطار تباع باسعار بخسة ولاسيما لانهُ لا يشغل غير ثلثي الارض التي يشغلها موسم القطن عادة

ثم اذا ثبت هذا العام ان الموسم القليل الذي لا يزيد على اربعة ملايين قنطار يباع بثمن الموسم الكبير الذي يزيد على ستة ملايين قنطار كان من الحكمة ان تجد الحكومة المصرية اسلوباً لحصر زراعة القطن في ثمانمئة فدان من الارض كأن لا تبيح لاحد ان يزرع القطن في اكثر من ربع اطيانهِ فتتضاعف فائدة القطر من ذلك لان القطن يباع حينئذٍ بمثل الثمن الذي يباع بهِ الآن . وتتخلص اربع مئة الف فدان من زرع القطن وتزرع مزروعات اخرى ولا تعود الارض تزرع قطناً الاَّ مرةً كل اربع سنوات فلا تضعف قوتها

زراعة قصب السكر

وضع الهر ولتر تيمان الكيماوي في معمل الشيخ فضل رسالة في قصب السكَّر ابان فيها ان العقد السفلى من قضبان القصب الكثيرة السكّر لا تصلح للزرع (للتقاوي) مثل العقد العليا وهذه العقد العليا فيها سكر اقل قابليَّة للتبلور من سكر العقد السفلى واقل منهُ ثمناً فيكون من اتخاذ التقاوي منها فائدة مضاعفة

واصلح الاراضي لزرع قصب السكر الممزوجة من الطين والرمل وفيها نحو واحد في المئة من الجير ولا بدَّ من اجتناب الاراضي الحامضة واما الاراضي المالحة فيمكن غسل الملح منها بالماء والمصارف

واذا كانت الارض خفيفة فتستفيد زراعة السنة الاولى منها بالسماد الفصفوري والنيتروجيني ولا بدَّ من السماد النيتروجيني لزراعة السنة الثانية . واذا استعملت الحكمة في اختيار التقاوي وخدمة الارض فمن ذلك فائدة اكثر مماً لو استعملت الاسمدة الغالية الثمن

واشار بان لا تقرَّب عيدان القصب بعضها من بعض وقت زرعها لكي يبقى بينها مجال للهواء ونور الشمس لانها اذا قربت بعضها من بعض نبتت طويلة ضعيفة وقلَّ السكَّر منها . واذا كانت الارض خفيفة فلا بأس بتقريب العيدان بعضها من بعض واما اذا كانت ثقيلة وجب ابعادها بعضها عن بعض

والقصب ليس من النباتات المائية فلا يصلح ان يركد الماءُ في ارضهِ ويحسن ان يمنع ريهُ مطلقاً قبل قطعهِ بشهر او شهرين . وحالما يقطع القصب ينقل الى المعمل والاَّ خسر من وزنهِ واحدًا الى واحد ونصف في المئة كل يوم يبقاهُ في ارضهِ مقطوعاً وينقص سكرهُ ايضاً

والسكَّر في القطر المصري نحو ١٤ في المئة من القصب وزناً اي مثلما هو في اشهر البلدان في زراعة القصب ككوبا وجاوى فانهُ فيهما من ١٤ في المئة الى ١٥ في المئة

وذكر ان غلة السكَّر في كل البلدان ٦٧٣٩٠٠٠ طن واكثرها من البلدان التالية

الهند الشرقية	٣٥٠٠٠٠٠	طن
جاوى	٠٥٥٦٠٠٠	"
برازيل	٠٣٠٠٠٠٠	"
الولايات المتحدة	٠٢٣٠٠٠٠	"
كوبا	٠٢٢٠٠٠٠	"
جزائر فيلبين	٠٢٢٨٠٠٠	"
جزائر صندويج	٠٢٠٣٠٠٠	"
الصين	٠٢٠٠٠٠٠	"
موريتوس	٠١١٥٠٠٠	"
دمرار	٠١١٠٠٠٠	"
مصر	٠١٠١٠٠٠	"
كوينسلند	٠٠٩٦٠٠٠	"
ارجنتينا	٠٠٨٥٠٠٠	"
بيرو	٠٠٧٥٠٠٠	"
مكسيكو	٠٠٧٠٠٠٠	"
بورتوريكو	٠٠٦٦٠٠٠	"
وجملة المستخرج من اسيا	٤٥٥٩٠٠٠	"
ومن اميركا	١٥٠٩٠٠٠	"
ومن استراليا	٠٣٥٧٠٠٠	"
ومن افريقية	٠٢٩٢٠٠٠	"
ومن اوربا	٠٠١٥٠٠٠	"

فاسيا اكثر البلدان استخراجاً للسكر وتتلوها اميركا فاستراليا . اما اوربا فيزرع القصب فيها في اسبانيا لا غير . ولا يبعد ان تتسع زراعتهُ في افريقية بعد ان رسخت فيها قدم الاوربيين

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

البيض في الطعام

امتحان البيض

فرخ الطائر يولد من بيضة فيتكوَّن منها لحمهُ وعظمهُ ودماغهُ واعصابهُ وريشهُ. ففي البيض كل العناصر اللازمة لتكوين جسم الحيوان لحماً وعظماً وجلداً وشعراً ودماغاً واعصاباً

ومن طبيعة البيض انهُ يفسد سريعاً ولاسيما في البلدان الحارَّة فلا يؤْكل الاَّ اذا كان جديداً او خالياً من الفساد ويعلم ذلك بان تضع البيضة بين عينك ونور الشمس الساطع فاذا بان محها (صفارها) مستديراً والزلال حولهُ صافياً نقياً فهي جديدة او خالية من الفساد . وكذلك اذا وضعت البيض في اناء وصببتَ فيهِ ماء فالجيد يبقى في الماء واما غير الجيد فيطفو عليهِ

سلق البيض

يسلق البيض متى كان جديداً والاَّ عسر سلقهُ ولم يستطب طعمهُ . ويغلى الماء اولاً وتوضع كل بيضة فيهِ على حدتها بملعقة تصل بها الى اسفل الاناء لئلاَّ تقع فيهِ وتنكسر . والمدَّة اللازمة لسلقهِ في الماء الغالي من ٣ دقائق الى ١٥ دقيقة فاذا ترك في الماء ٣ دقائق فقط بقي كانهُ غير مسلوق واذا وضع ٦ دقائق بقي ليناً كالزبدة واذا سلق من ١٠ دقائق الى ١٥ دقيقة اشتدَّ كثيراً وهو الصالح لعمل السلطة ونحوها

وخير من ذلك ان يوضع البيض في اناء فيهِ ماء بارد ثم يوضع الاناء على النار عشر دقائق . او ان تأخذ لسلق ست بيضات اناء يسع اربعة ارطال مصرية من الماء وتغلي الماء فيهِ ثم تضعهُ في مكان دافىء وتضع البيضات فيهِ وتتركها عشر دقائق فتسلق جيداً واذا اردتها اشد قواماً فاتركها في هذا الماء عشرين دقيقة فتطبخ طبخاً

البيض بالزبدة

خذ ملعقتين من الزبدة وملعقتين من الدقيق ورطلاً من اللبن واربع بيضات وملعقة صغيرة من الملح وربع ملعقة صغيرة من الفلفل ونصف بصلة صغيرة وقليلاً من الخبز المحمَّص. واسلق البيضات ٢٠ دقيقة وضعها في الماء البارد ومتى بردت انزع قشرها واقطع كل بيضة ست قطع وافرم البصل فرماً دقيقاً وضع الزبدة في مقلاة صغيرة واحمها على النار وحمّر البصل فيها حتى يصفرّ ثم انزع البصل من الزبدة وضع فيها الدقيق وسخنهُ قليلاً واحترس لئلاّ يحترق ثم ابعد المقلاة عن النار وصبَّ اللبن فيها فوق الدقيق وردها الى النار حتى تغلي ثم ضع الملح والفلفل والبيض وقدم ذلك على قطع من الخبز المحمَّص مدهونة بالزبدة. ويمكن ان يعوَّض عن البصل المفروم بزوم البصل

البيض بالمقانق

خذ ملعقة صغيرة من مفروم البصل واربع ملاعق كبيرة من لحم المقانق ونصف ملعقة صغيرة من الملح وثمن ملعقة صغيرة من الفلفل وحمر البصل في اللحم فوق نار شديدة خمس دقائق واكسر ثماني بيضات واخبطها جيداً واضف اليها الملح والفلفل وضع اللحم والبصل في المقلاة على مكان بارد نوعاً من الفرن وصبَّ البيض فيها وحركهُ حتى يجمد وضعهُ في صحفة سخنة وقدمهُ مع خبز محمَّص عليهِ زبدة

صحة الحوامل

نشرت مجلة المنار الغراء في اجزائها الماضية نبذاً متوالية من رسائل معرَّبة اسمها اميل القرن التاسع عشر تظهر منها مزية التربية الانكليزية ويليق بكل ربات البيوت ان يطالعنها بالامعان من ذلك رسالة في الجزء ٤٥ الصادر في ٢٠ يناير تقول كاتبتها فيها

" جاء الدكتور وارنجتون واسرتهُ الى هنا وامضوا يومين فسن لي شبه قانون اجري عليهِ في معيشتي بل هو الذي يتبعهُ معظم الانكليزيات الحوامل اللاتي يوصفن عادة بانهنَّ في حالة شاغلة. نصح لي بادامة الرياضة البدنية والتنزه ثم قال ما نصه اياكِ والاقتراب مما تضر مطالعتهُ من القصص التي تتولد من قراءتها الانفعالات السيئة الشديدة. كان اليونان أعقل منا لانهم كانوا يحيطون نساءهم في مدة الحمل بالتماثيل والصور الجميلة المنسوبة لمشاهير الاساتذة في فن التصوير واني لست أجزم بان هذا كان سبباً في اتيان اولادهم حسان الخلقة ولكني على كل حال اقول اذا كان مثل هذه التماثيل والصور وغيرها من الاشياء البديعة الصنع يحدث في نفوس

ذوي الفطر السليمة من الناس شعور الارتياح والانبساط ويكون فيها مدعاة اعتدال الامزجة وتوافق الطبائع فلمَ لا يكون من موجبات حفظ الصحة . كثير من السيدات عندنا يغلب عليهنَّ في طور الحمل الخمود وفتور القوى بسبب البطالة التي هي منشأ الامراض العصبية فانهنَّ لاشغل لهنَّ فيهِ سوى مساورة الاوهام ومطاردة الخيالات . اما انتِ فلما اعهده فيكِ من الشغف بالمناظر الخلوية اوصيك بالسعي وراء اجتلاء ما في الخليقة من رائع الجمال ورائق الحسن وبان تتخذي لنفسك اعمالاً مرتبة تشتغل بها يدك وعقلك

ولقد رأيت ان هذه النصائح كلها حكمة وعلم فاخذت نفسي بها وخرجت للتنزه من اليوم التالي لتلقيها بعد تدبير بعض الشؤون البيتية فلما رأتني نساء القرية مبكرة على الطريق بعثهنَّ كرم اخلاقهنَّ على ان يبتدرنني بالتحية قائلات "صباح بهي وبكرة سنية" ولم يكن الصباح كما قلن ولكنها عادة الناس هنا اذا تبادلوا التحية بالوقت فهم دائماً يميلون الى امتداحهِ قليلاً فشكرت لهنَّ حسن قصدهنَّ

لم أسر في تنزهي على الخليج بل اعتسفت الطريق في ريف يتسع فيهِ الفضاء للماشي كلما جدَّ بهِ السير ومما لاحظتهُ ان نساء كورنواي يضعن على رؤوسهنَّ برانيط من القش وقد اخترت ان احذو مثالهنَّ في ذلك فوضعت واحدة منها اتقاء لحر الشمس وحباً لما فيها من البساطة الكلية واخالني أروق في نظرك لو رأيتني بها . كنت أتقدم في هذا الريف على جهل من قراه ولكني كنت آمنة من الضلال لاني ما كنت قاصدة جهة معينة وكان ذلك اليوم من الايام التي كثيراً ما ترى في غرب انكلترا فكانت سماؤُهُ محتجبة بالغيم وكانت تأتي من البحر ريح بليل فتجري بين اشجار العليق فتولد فيها رعدة طويلة وكانت الطيور تغرد حول عشاشها . قد أتى عليَّ حين من الدهر كنت فيهِ اجد على الخليقة اذا بدت عليها سمات الاغتباط والسرور وانا حزينة الفؤاد متبلبلة الافكار فما زلتَ بي حتى أثبت لي ان هذا الوجد والانفعال باطلان بعيدان من الانصاف وناشئان من الاثرة وحب الاختصاص فاصبحت الآن بفضل نصحك لي اسرُّ بما اجدهُ في سائر المخلوقات من آثار الفرح والابتهاج وقد تبين لي في ذلك اليوم بما انبعث في قلبي من وجدان الحنان والرحمة و بما عاينتهُ في المخلوقات من شواهد الفضل والنعمة ان الله سبحانهُ لم يلعن الارض ولم يغضب عليها

كانت بكرتي هذه من البكر التي انت تعرفها يدور في هوائها على سكونهِ مادة غزيرة مختلفة العناصر للتوليد والخصب فكان ينبعث من أشجار العوسج وحقول القمح والمسالك الموطأة نسمات فاترة مقوية كانت تسري بسببها الحرارة في جسمي فتصل الى وجهي فكأن الارض كانت

مصابة بحمى الربيع . ولقد ذكرتك في تسياري بين هذه المزارع وفكرت فيما سأناله عما قليل من شرف الامومة ان لم يحدث من الطوارىء ما يقطع موصول آمالنا . وفي هذا الوقت أحس قلبي بما انطوى عليهِ مكتوبك فتسابقت الى ذهني منهُ هذه الكلمات وهي "فاني قد استودعتكِ اياه"

عند ذلك صحت قائلة لماذا لا اكون أنا في الحقيقة معلمة ولدي ؟ اليس من المعروف عن نساء الولايات المتحدة ان معظم تعليم الاطفال ذكوراً كانوا او اناثاً موكول اليهن ؟ بل ان مما يؤكدهُ العارفون انهن يفضلن الرجال في القيام بهذه الوظيفة الصعبة واني سأجرب نفسي في الاقتداء بهن على ان هذا هو ما يراه زوجي فمن حيث انهُ قد عول على ترك المزايا التي لمدارسنا وغيرها من معاهد التعليم لاعتبارات أقدرها حق قدرها فلا بد ان احل محلهُ ولو حيناً من الزمن في القيام على تلميذنا الآتي وتربيتهِ وسيكون هذا آكد فرض عليَّ واخص ما افتخر بهِ وازهو . اشهد الله سبحانهُ على ما اقول واشهد عليهِ ايضاً امومة الفطرة الكبرى التي تدعوني بما فيها من القدوة الى العمل وانماء جميع قواي

ربما اضحكتك مني هذه المزاعم واني لعلى علم بكل ما يعوزني لاداء هذا الواجب الصعب المعضل لاني ينقصني كثير من المعارف وان كان والداي لم يغفلا تربيتي الاولى ولكن ما الذي يمنعني من الاستمرار على التعلم بنفسي اذا كنت لا ازال في السن الملائم لهُ فسأعلم ولدنا في الزمن الذي يشب فيهِ وينمو واتعلم انا ايضاً بتعليمهِ ولن اعتقد اني امهُ حقاً الاَّ اذا نفثت في روعهِ افكارك وزرعت في نفسهِ اصولك

سنتعاون بقلبينا على هذا الامر الخطير فعليك الارشاد وعليَّ العمل وقد وعدتك بان اكون قوية وهذا هو قصدي وسأبلغهُ ملتمسة من الرياضة البدنية والمطالعة ما يلزمني من الصحة والعافية في جسمي وعقلي لاداء هذا الفرض العظيم . ومعاذ الله ان يكون من قصدي ان اصير الى احسن مما انا عليهِ الآن . نعم اني لست من الوليّات ولا من النساك فقد اتى عليَّ زمن كانت تجذبني فيهِ جواذب اللذات الدنيوية وليس هذا الزمن عني ببعيد فاني لم اتجاوز الثالثة والعشرين من عمري ولم يكن تركي معاهد التمثيل وملاهي الغناء واندية الظرفاء التي كنت افتخر فيها بمصاحبتك مبنيًّا على رغبتي عنها وميلي الى غيرها وانما كان ذلك لما اصابنا من صروف الدهر ونوائبهِ التي سيظل ما جرتهُ لي من الكآبة والحزن مخيماً عليَّ طول حياتي . على انني لست آسى على شيءٍ مما فات فارجو ان لا تظن بي ذلك واعتقد اني لو كنت مطلقة من قيود هذه المصائب لما انفككت عن اختيارك لي خلاًّ وقريناً واعلم ان الفراق لم يزدني فيك الاَّ حباً وانما انا أشكو من الم في نفسي . . . ولكن كما توجد طرق مادية لحفظ صحة البدن توجد ايضاً طريقة معنوية

لحفظ النفس وسلامتها من الامراض وهي رفعها الى معالي الامور وسأُجربها فان ذلك على ما بقال يسكن من آلامها واذا صح هذا فاي غاية تسمو اليها افكاري وتعلو بها نفسي أشرف من رعاية ولد أُربيهِ على اصولك واخلاقك . ان هذا لهو اكمل قصد وقفت نفسي على ادراكهِ

أنا مع انتظاري لهذا العمل الجليل أشتغل الآن بشؤُون بيتية محضة. أما قويبدون فانهُ قد صمم على ان يعمل عمل المزارعين فانهُ قد جلب الى مسرح الدواجن في بيتنا دجاجًا وبطًّا وماعزًا وغيرها وكان في البيت برج عتيق مهجور فعمرهُ بالحمام. واني مهتمة غاية الاهتمام بكل هذا العالم الصغير وكنت قبلاً اعتقد في نفسي اني على شيء من علم الحيوانات لما قرأتهُ من الكتب المختلفة في التاريخ الطبيعي اما الآن فقد تبين لي مقدار خطائي في هذا الاعتقادفاني كل يوم أُشاهد من عجائب الحيوانات ما لم يقل عنهُ العلماء شيئًا. وأنا وجورجية نوزع الحبوب على جميع هذه الدواجن التي يظهر من حالها انها تدرك محبتنا اياها لانها تأتنس بنا وتفرح لرؤْيتنا . انتهى

(المقتطف) هذه اقوال يحقُّ ان تكتب بالتبر امام كل زوجة. وبمثل هذهالمعاني الراسخة في نفوس النساءالانكليزيات والاميركيات ارتقت هاتان الامتان وامتازتا على امم الارض كما يشهد مناظروها من الفرنسويين والالمانيين والايطاليين. لكنهما لم تبلغا ما بلغتاهُ عفوًا ولا احتفظتا بهِ من غير عناء بل ان كل ذوي الاقلام فيهما وكل مَن قويت في نفسهِ الغيرة الوطنية وكل خَدَمة الدين ومعلمي المدارس والمحسنين والمتصدقين رجالاً ونساءً كل هؤلاء يسعون دوامًا في التعليم والتهذيب ونشر المعارف العلمية والادبية

باب الرياضيات

السيارات وحركاتها في شهر مارس ١٩٠٠

لحضرة الاستاذ وست مدير مرصد المدرسة الكلية الاميركية في بيروت واستاذ الفلك فيها

عطارد

يكون عطارد نجم المساء في اول الشهر ويبلغ تباينهُ الاعظم شرقًا اي ١٨° ١٦ََ دقيقة عن الشمس في ٨ الشهر الساعة الاولى بعد الظهر . وتسهل رؤْيتهُ قبل ذلك وبعدهُ بايام في

الشفق بعيد الغروب وهو يسير في هذا الشهر سيرًا مستقيمًا في برج الحوت ثم يظهر ثابتًا في ١٥ منهُ الساعة ٦ صباحًا و يسير بعد ذلك سيرًا متقهقرًا الى آخر الشهر . ويبلغ نقطة الراس في ٤ الساعة ١ بعد الظهر ويبلغ عرضهُ الشمسي الاعظم شمالاً في ١٤ الساعة ٨ بعد الظهر ويمر بالاقتران السفلي في ٢٥ الساعة ٥ صباحًا ثم يصير نجم الصبح فيشرق قبل الشمس

الزهرة

تكون الزهرة نجم الغروب وتزداد لمعانًا يومًا فيومًا وتسير شرقًا بين الكواكب في برج الحوت وبرج الحمل

المريخ

يكون المريخ نجم الصبح ولا يرى بالعين لقربهِ من الشمس ويسير شرقًا في برج الدلو وبرج الحوت ويمرُّ بنقطة الراس في ١٨ الشهر الساعة ٩ مساءً

المشتري

يكون المشتري نجم الصبح ولكنهُ يشرق قبل نصف الليلة ويسير شرقًا الى ٢٨ الساعة ١ صباحًا ثم يظهر ثابتًا ويسير بعد ذلك سيرًا متقهقرًا فيتجه غربًا بين الكواكب

زحل

يكون زحل نجم الصبح ويبلغ تربيعهُ الغربي في ٢٥ الساعة ١٠ مساءً ويشرق نصف الليل ويكون في برج الرامي ويتجه شرقًا بين الكواكب

اورانوس ونبتون

يتجاوز اورانوس التربيع الغربي في ٣ الشهر الظهر ويظهر ثابتًا في ١٧ الساعة ١٠ صباحًا ثم يسير بين الكواكب سيرًا متقهقرًا

ويتم نبتون سيرهُ المتقهقر فيظهر ثابتًا في ٥ الظهر الساعة ٩ مساءً ثم يسير سيرهُ المستقيم ويتجاوز التربيع الشرقي في ١٥ الساعة ٨ صباحًا

اقتران القمر بالسيارات

اليوم	الساعة			
٠١	٠١ صباحًا	يقترن بالمريخ فيقع المريخ	٦° ٢١َ	جنوبيهُ
٠٢	٠٨ مساءً	بعطارد فيقع عطارد	٤° ٣٧َ	جنوبيهُ
٠٤	١٠ صباحًا	〃 بالزهرة فتقع الزهرة	٣° ٥٨َ	جنوبيهُ
٢٢	٠٣ مساءً	〃 بالمشتري فيقع المشتري	١° ٠٨َ	شماليهُ

اليوم	الساعة				
٢٤	١٠ صباحاً	يقترن بزحل فيقع زحل	٠° ٤٩َ	جنوبيهُ
٢٩ — ٣٠	نصف الليل	« بالمريخ فيقع المريخ	٦° ٢٩َ	جنوبيهُ
٣٠	٠٩ صباحاً	« بعطارد فيقع عطارد	٢° ٥٩َ	جنوبيهُ

اوجه القمر

اليوم	الساعة	الدقيقة		
٠١	٠١	٣٠	صباحاً	الهلال
٠٨	٠٧	٣٩	«	الربع الاول
١٦	١٠	١٧	«	البدر
٢٤	٠٧	٤١		الربع الاخير
٣٠	١٠	٣٥	مساءً	الهلال
٠١	١٢	١١	مساءً	الاوج
١٥	٠٣	١٧	صباحاً	الحضيض
٣٠	٠١	٢٣	صباحاً	الاوج

باب التقريظ والانتقاد

اصلاح المحاكم الشرعية

الشكوى من المحاكم الشرعية في هذا القطر قديمة عامَّة بعضها جارٍ على حدّ قولهم

ان نصف الناس اعداءٌ لمن وُلّي الاحكام هذا ان عَدَل

وبعضها ناتج عن خلل في نظام المحاكم وبعضها عن نقص في علم القضاة وبعضها عن انحطاط مقام العدل في نفوسهم. اما الشكوى الاولى فلا علاج لها ولا هي دليل على وجود علة حقيقية تصحّ الشكوى منها واما بقية الشكاوى فلها مساس كبير بشؤُون الناس وفيها وفي تلافيها وُضع هذا التقرير وواضعهُ الاستاذ العلاَّمة المحقق الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فان نظارة الحقانية سألتهُ ان يتعهد المحاكم الشرعية مدة الصيف الماضي وينظر في اعمالها ويقدم لها نتيجة ما يتيسر

لهُ من البحث في احوالها فطاف على كثير من محاكم الوجه البحري واطّلع على ما امكن الاطلاع عليهِ من سجلاَّت ومضابط ومرافعات وسير في الاعمال وعرض ذلك على ما تقرَّر من احكام الشريعة الغراء وما وضع من اللوائح للمحاكم الشرعية . واستخلص من ذلك آراء بسطها لنظارة الحقانية في تقرير مسهب تكلم فيهِ اولاً عن الحاجة الى المحاكم الشرعية وقال انها " اذا ظهرت في مظهرها الديني الجليل وسارت سيرتها الشرعية القويمة ادخلت اصول النظام في اصغر البيوت فضلاً عن اعلاها واعادت بالعدالة الابوية ما فقدهُ الناس من نظام الالفة . وقد رأينا ان الرجل يدخل المحاكم الاهلية مخاصماً فيخرج منها محامياً فاجر يقوم بين يدي قاضٍ ينطق بالعدل الالهي ان ينقلب وفي نفسهِ اثر من خشية الله ". وقال قُبيْل هذا ان القاضي لا يكون كذلك "حتى يأخذ الشرع عن اهلهِ وتكون تربيتهُ على السنَّة الدينية الصحيحة ثم لا يكون القاضي حافظاً لنظام الاسر والبيوت بعد الاحاطة باحكام الشرع حتى يكون للشرع واحكامهِ سلطان اي سلطان على نفسهِ "

ولا يخفى ان كل خلل يقع في المحاكم مرجعهُ الاكبر قلّة العلم وقلّة العدل اما العلم فما يتيسر اكتسابهُ بالدرس والمزاولة واما العدل فخلق راسخ في النفس تصل اليهِ الامة بعد المزاولة الطويلة وتربى بزورهُ في الطفل والشاب في البيت والمدرسة والحقل والشارع حتى يملك النفس فلا تسير الاَّ بهِ . وعند صاحب التقرير ان التربية الدينية الاسلامية كافلة بذلك فقد قال " ان روح الشرع انما هو الحق والعدل والتزام الصدق في القول والاخلاص في العمل فلا يباح في ديننا لاحد ان يكذب كذبةً واحدة لتقوية حجتهِ والدين كافل للكل بالوصول الى حقهِ من اقوم الطرق واهداها "

وبعد ان ذكر الحاجة الى المحاكم الشرعية بالاسهاب عدَّد مواقع الخلل في ابنيتها وكتبتها واعمالها الكتابية والحسابية وما يجري فيها من المرافعات وطرق التنفيذ ونحو ذلك واشار بالعلاج الشافي من هذه الادواء اشارة حكيم ماهر محب لوطنهِ وامتهِ. ولا بدّ من ان تقع آراؤهُ احسن وقع لدى نظارة الحقانية وتعمل بكل ما ترى لها سبيلاً الى العمل بهِ منها

وقد اعتنى حضرة العالم العامل السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار بطبع هذا التقرير بعد ان قدَّم لهُ مقدمة بليغة بيّن فيها سبب انشائهِ ولخص ما تضمَّنهُ من القواعد والمقاصد واسهب في بعض المطالب التي اختصر فيها صاحب التقرير كعدم حصر منصب القضاء الشرعي في الحنفية . والتقرير مطبوع طبعاً حسناً على ورق جيد جدًّا وهو يباع باربعة غروش . فلحضرة واضعهِ وناشرهِ الشكر الجزيل على ما توخَّياهُ فيهِ من النفع العام

نوادر الكرام

ديوان العرب جامع لما لا يحصى من القصص والنوادر كما ترى في الكشكول والغرر ومحاضرات الادباء ومجاني الادب ونحو ذلك من الكتب القديمة والحديثة وقد اعتنى حضرة الاديب ابرهيم افندي زيدان بجمع نوادر السخاء التي جرت في ايام البرامكة ومن جاراهم من الكرام وطبعها في كتاب واحد جعل ثمنهُ خمسة غروش صاغ فاجاد وافاد

تقارير دار العلم السمثسونية

Reports of the Smithsonian Institution.

للكرماء سُبل كثيرة لاظهار كرمهم بعضها تنحصر فائدتهُ في انسان واحد او نفر من الناس كما ترى في النوادر المذكورة في الكتاب المشار اليهِ آنفاً وبعضها تعمّ فائدتهُ اناساً كثيرين وامماً كبيرة وتدوم الى ما شاء الله ومن قبيل ذلك الهبة التي وهبها الرجل المحسن الشهير المسمى جمس سمثسن للحكومة الاميركية لكي تنفق من ريعها على تقدم العلوم والمعارف فان هذه الهبة كانت اولاً مئة الف جنيه ثم تضاعفت بما اضيف اليها من ريعها ومن هبات المحسنين وقد وسّع بها نطاق العلوم والمعارف توسيعاً لا مثيل لهُ وحسبنا شاهداً على ذلك ما يرد الينا كل سنة من الكتب المطبوعة بريع هذه الهبة وما تدلّ عليهِ هذه الكتب من البحث والتنقيب اللذين تدفع نفقاتهما من ريعها ايضاً فالتقرير السنوي عن دار التحف يبلغ اكثر من الف صفحة يتخللها مئات من صور التحف التي جمعت او وصفت تلك السنة . والتقرير السنوي عن لجان العلم والبحث فيهِ سبع مئة صفحة او اكثر ومقالات كثيرة علمية وفلسفية باقلام اشهر كتاب العصر مثل كلفن ولنغلي وكروكس ورامسي وفوستر وداروِن ومري وبتري ودوَر وميَر ومسبرو وكورني وغيرهم من كبار العلماء ومشاهير الكتاب ونحن نعتمد عليها في شرح بعض الحقائق كما ترى في الكلام على الاقمار في هذا الجزء

مجلتان جديدتان

الاولى مجلة علمية ادبية تاريخية اسمها القدس لحضرة صاحبها ومحررها طه المحتسب بالله خادم مقام خليل الرحمن وفيها مقالات دينية وادبية وتاريخية مثل "حاجة الانسان الى الدين". "واحكام الصيام وحكمه". وكيف تكون التربية الصحيحة ونبذة من تاريخ القدس الشريف .

والثانية مجلة علمية ادبية دينية تهذيبية اسمها مكارم الاخلاق الاسلامية امامنا العدد الثالث منها وفيهِ مقالة مسهبة عن العيد ونبذ كثيرة دينية وادبية . فنتمنى لهاتين المجلتين النجاح التام

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا أن نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الاطفال وتغيير الهواء

الاسكندرية . كامل افندي عياد . لي ابنة تبلغ من العمر شهرين وارغب في زيارة القدس الشريف وجبل لبنان في شهر ابريل المقبل فهل انتقالها بغتةً من قطر الى قطر يؤَثر في صحتها وهل سفر البحر يضرها وهل الازدحام الشديد الذي يحصل عادةً في كنيسة القيامة بالقدس الشريف يؤْذيها

ج لا ضرر من سفر البحر ولا من الذهاب الى جبل لبنان لا سيما وان عمر ابنتكم يكون حينئذٍ نحو اربعة اشهر . ولكن لا بدَّ من وقايتها من البرد الشديد في السفر برًّا وبحرًا . اما الازدحام فاذا طال فمنهُ ضرر كثير واذا لم يطل فضررهُ قليل

(٢) اصل الخماسين

ومنهُ سأَلني بعض الانكليز عن معنى كلمة " خماسين " ومن اي كلمة اشتقت فكان جوابي ان الاقباط اعتادوا ان يمكثوا خمسين يوماً بعد عيد الفصح بلا صوم ثم يصوموا فسميت المدة بين الفصح وبين الصيام خماسين ولما كان حرُّ الهواء يشتد عادةً في هذه المدة سميت الرياح الحارة خماسين . فما يقنع بهذا الجواب وقال لي انهُ طالع احد الكتب الانكليزية وفيها ان كلمة خماسين مركبة خما وسين ومعناها الهواء الحار فما هو الاصح

ج ان عيد الخمسين وهو المسمَّى بالعبرانية بالعنصرة وباليونانية بالبنديكستي او الخمسين يقع بعد الفصح بخمسين يوماً وهو عند اليهود تذكار لاستلامهم الشريعة وعند النصارى تذكار لحلول الروح القدس وكان نصارى هذا القطر يعيدونهُ من قديم الزمان

كما يعيدونهُ الآن . ويظهر لنا ان تعليلكم صحيح اي ان الرياح الحارَّة التي تهبُّ في مصر في فصل الربيع سميت خماسين لهبوبها غالبًا في هذه الايام بين الفصح وعيد الخمسين ويحتمل ان تكون قد سميت بالخماسين او بالخمسين لانها تهبُّ نحو خمسين يومًا من غير التفات الى عيد الخمسين. اما تركبها من كلمتين معناهما الريح الحارَّة فلم نقف على ما يؤيدهُ. وقد وردت هذه اللفظة في احدث قاموس للغة الانكليزية وهو قاموس تشمبرس المطبوع سنة ١٨٩٨ وفيهِ ان كلمة خماسين من خمسين العربيَّة لانها تهب خمسين يومًا من منتصف مارس فما بعده

---

(٣) الحرارة والجاذبية

الاسكندرية . نصر الله افندي ميخائيل . هل ان جاذبية الملاصقة تضعف بالحرارة كما يقال او ان الحرارة تقوي قوة الدفع في دقائق المادة حتى تصبح جاذبية الملاصقة ضعيفة بالنسبة اليها لا ضعيفة حقيقة او هي تضعف الاولى وتقوي الثانية معًا . اما اضعافها للاولى فيستدل عليهِ بامكان تحويل كل الاجسام الجامدة الى سائلة او غازية بحسب درجة الحرارة واما تقويتها للثانية فبمَ يستدلُّ عليهِ افيدونا ولكم الفضل

ج ان حقيقة هذه الجاذبية لم تعلم حتى الآن ولا علمت حقيقة المادة وقد فُرِض ان دقائق المادة متحركة دوامًا وبينها ابعاد شاسعة بالنسبة اليها وان الحرارة قوة تزيد بها حركة هذه الدقائق سرعة فتتسع الفسحات التي تتحرك فيها وتتدافع فيزيد ابتعادها بعضها عن بعض فتنقص القوة الجاذبة التي كانت تبقيها على ابعادها الاولى لان حركتها هذه المبعدة للدقائق تقاوم فعل الجذب المقرّب لها حتى اذا زادت قوة الحرارة تفرقت دقائق المادة غازًا وزالت كل رابطة بينها او كادت. فاذا كانت حركة الدقائق الاصلية من مقتضاها مقاومة الجذب فتكون الحرارة مقوية للدفع ومضعفة للجذب معًا لان تقوية الواحد هي اضعاف الآخر . وهذا الفرض يعدُّ الآن بين الحقائق العلمية

---

(٤) التلعثم

الاسكندرية . احد القراء . لما كنت اقرأُ رواية "تنكرد" التي عربتم منها خمسة فصول في الجزء الاخير ووصلت الى وصف اخلاق "دوق بلامنت ومركيز منتكيوت" الذي نال هذه الالقاب بعد وفاة ابيهِ الذي كان يغار منهُ ويهينهُ فيقف امامهُ متلجلجًا لا يبدي عذرًا . رأيت ان هذا الوصف ينطبق على عواطفي واخلاقي لاني اعجب من ان حجتي تكون قوية في ذهني وبرهاني ساطعًا في مخيلتي حتى اذا اضطررت الى الاحتجاج واحتجت الى البرهان اعتقل لساني وتلجلج فلا البث ان تضعف حجتي ويوهن برهاني

فجئت اسأل حضرتكم هذا السؤَال هل طلاقة اللسان (والفصاحة) عاطفة غريزية او مكتسبة وكيف تكتسب فافيدونا ولكم الشكر. وحبذا لو هديتمونا الي دواء نعالج بهِ هذا الاعتقال فتكونوا قد خدمتم انساناً واذقتموهُ لذة التعبير عن "سوانح افكارهِ"

ج يظهر لنا انكم مصابون بشيءٍ من اللعثمة وهي خلل وراثي او مكتسب قلما يظهر قبل السنة الرابعة او الخامسة ولكنهُ قد يظهر بعد ذلك على اثر الحمى او غيرها من الآفات وسببهُ القريب في الحنجرة وقد تشترك الرئتان معها فيهِ . وهذه الآفة تقبل الشفاء وقد تشفى من نفسها من غير علاج وتقلُّ بالتقدُّم في السن غالباً. واذا عقدتم النية على اصلاح نطقكم وتمهلتم في الكلام وعودتم نفسكم على التنفُّس المنتظم واخراج الصوت من الصدر فالمرجح عندنا انكم تتغلبون علي هذا الخلل وتنجون منهُ ولكن لا بدَّ من المزاولة في ذلك كما لا بدَّ منها للنجاح في كل امرٍ . اما طلاقة اللسان فامر طبيعي ولكن المزاولة تزيد اللسان طلاقة ونعرف شباناً كانوا لايحسنون الافصاح عمَّا في فؤَادهم بعشر كلمات فزاولوا التكلم والخطابة فصاروا من الخطباء

---

(٥) اختلاف الاذواق

بغداد . الشيخ يعقوب ميخا . ما السبب في اختلاف الناس في المآكل والمشارب فاننا نرى منهم من تولّع باكل الحموضات دون الحلويَّات. و بعضهم يرغب في اكل المطبوخات الثخينة دون الحموضات وهلمَّ جرًّا

ج ان اختلاف الاقاليم والبقاع وسائر ملابسات الناس يؤَثر في امزجتهم فتختلف كثيراً ويتبعها اختلاف العادات . ولولا ميل الناس الى الاقتداء بعضهم ببعض وتسلُّط ناموس الوراثة عليهم لبعُد ان نرى اثنين متماثلين تماماً في الاذواق والاميال . ولكن مشابهة تأْثير الاقليم الواحد والميل الى الاقتداء يجعلان عادات الشعب الواحد متماثلة فترى اهالي الاقاليم الباردة يكثرون من اكل الاطعمة الدهنيّة لانَّ اقليمهم البارد يجعل ابدانهم في حاجة الى المواد التي تتولّد منها الحرارة في ابدانهم فرأَوا بالاختبار ان اكل المواد الدهنية يدفئهم فاعتادوهُ . والظاهر ان الذين يأْكلون المواد الحامضة رأَوا من اكلها فائدةً لهم لاحتياج ابدانهم اليها فاعتادوها وهلمَّ جرًّا . فاختلاف الناس ناتج عن اختلاف اقاليمهم وسائر ملابساتهم

(٦) عبد الله بن المقفع

ومنهُ . هل كان عبد الله بن المقفَّع الكاتب البليغ المشهور مسلماً او نصرانياً فان الامير شكيب ارسلان طابع الدرة اليتيمة يعدهُ مسلماً وفي الجزء الرابع من مجاني الادب يحسب من جملة شعراء النصرانية وخطبائها

ج لم نجد الدرة اليتيمة الآن لنرى

ما قالهُ الامير شكيب ارسلان فيها ولكننا رأينا ما ذكر في مجاني الادب فما ورد في الجزء الرابع صفحة ٣٠٨ في الحاشية يشير الى ان عبدالله بن المقفع نصراني ولو لم يكن قاطعاً في ذلك واما ما ورد في شرح المجاني فلا يستدلُّ منهُ على انهُ كان نصرانيًّا او غير نصراني . ولم نجد في ما لدينا من الكتب ما يؤيد هذا القول او ذاك ولكن اذا اختلف طابع الدرة اليتيمة وطابعو مجاني الادب في مسالة تاريخية فنحن اميل الى تصديق ما يقولهُ طابعو المجاني لان عندهم مكتبة واسعة يستيطعون ان يجدوا فيها حقائق المسائل المختلف فيها

(٧) اصل كليلة ودمنة

ومنهُ . من اية لغة عرَّب كتاب كليلة ودمنة لانني اذكر انكم ذكرتم في احد اجزاء المقتطف الماضية انهُ عرَّبهُ من اللغة السريانية وفي مقدمة الكتاب يذكر انهُ عربهُ من اللغة الفارسية فما رأيكم في ذلك

ج ان كنَّا قد ذكرنا في المقتطف ان كتاب كليلة ودمنة عُرّب من السريانية فيكون ذلك رأيًا لاحد العلماء لا لنا . ولكن جمهور الباحثين على ان النسخة العربية معرَّبة من البهلوية الفارسية كما قيل في مقدَّمة الكتاب. ويقال عند التدقيق ان اثني عشر فصلاً من فصول الكتاب هندية الاصل وثلاثة فارسية الاصل وستة عربية الاصل اما ابن المقفع فلم يترجم عن الهندية بل عن الفارسية كما قال. وفي السريانية ترجمة اخرى لهذا الكتاب ترجمت نحو سنة ٥٧٠ للميلاد اي قبل الترجمة العربية بنحو ١٨٠ سنة . وقيل في انسكلوبيذيا تشمبرس ان اول نسخة اكتُشفت حديثًا من هذه الترجمة كان اكتشافها في المكتبة الاسقفية بماردين سنة ١٨٧٦ .وقال الدكتور رَيْط في الانسكلوبيذيا البريطانية انهُ اكتشف نسخة اخرى سريانية في مدرسة اللاهوت بمدينة دبلن وهي مترجمة عن العربية لا عن الفارسية في نحو القرن العاشر او الحادي عشر و يظهر منها ان النسخة العربية التي اعتمد عليها المترجم اوسع من النسخة العربية التي نشرها ده ساسي لان فيها فقرات لا توجد في نسخة ده ساسي . فالنسخة العربية مترجمة عن الفارسية (البهلوية الفارسية) والنسخة السريانية الاولى مترجمة عن الفارسية ايضاً واما السريانية الثانية فمترجمة عن العربية

---

(٨) اصل ماء البحر

مصر . الشيخ صالح خروبي الازهري . يقال ان هذه اليابسة كانت مصهورة ثم اخذت بالجمود رويداً رويداً ولم يزل مركزها وما حولهُ ذائبين . فعليهِ اين كانت البحار حينئذٍ أكانت موجودة حال ذوبانها او بعد ان جمدت قشرة الارض وكيف كان وجود مياه البحار

ج لما كانت الارض مصهورةً من شدَّة الحمو كان ماء البحار بخارًا ممزوجًا بالهواء المحيط بالارض او كان محلولاً الى عنصريهِ الاكسجين والهيدروجين وهما غازان فيكونان منتشرين في الهواء ولم ترسب المياه في بحار الارض الاَّ بعد ان برد سطحها وجمدت

(٩) زيادة البحر ونقصانهُ

ومنهُ . هل وجدت البحار على حالها الحاضرة او هي آخذة في الزيادة او في النقصان أَوَ لا تفني الحرارة جزءًا من الماء ولو كان قليلاً ثم يصير كثيرًا بكرور الايام فاذا كان الامر كذلك لزم عنهُ نقصان مياه البحار نقصانًا بينًا مع ان المشاهد خلاف ذلك

ج لما بردت الابخرة ورسبت ماء كانت البحار اوسع مما هي الآن وماؤُها اغزر ثم ضاقت البحار وقلت المياه لا لان الحرارة تفنيها كما قلتم لان الحرارة لا تفني شيئًا والعلم الطبيعي لا يسلّم بوجود الفناء في شيءٍ ولكن لان الماء يدخل في تركيب صخور الارض وهو المسمى عند الكيماويين بماء البتلور فكلما برد جانب من الارض وجمد وتَبلْوَرَ انحبس فيهِ جانب من الماء . ولا يبعد ان تنضب مياهُ البحار كلها على كرور الايام فتمسي الارض جافَّة خاوية مثل القمر فان بحارهُ قد نضبت كلها منذ ادهار طويلة . ولا عبرة بعدم مشاهدتنا نقص مياه الارض لان عمرنا فيها قصير جدًّا بالنسبة الى العصور الطويلة التي مرَّت عليها . وما هو عمر نوع الانسان كلهِ بالنسبة الى الملايين الكثيرة من السنين التي مرَّت على الارض

(١٠) سبب المد والجزر

ومنهُ . ما سبب المد والجزر واين يذهب الماء في حالة الجزر وما علاقة القمر بالمد حتى نراهُ يرتفع بارتفاع القمر

ج ترون ذلك موضحًا في مقالة عن الاقمار في هذا الجزء من المقتطف وخلاصتها ان القمر يجذب الارض كلها السائل منها والجامد لكن جذبهُ لماء البحر اشد من جذبهِ لقاع البحر في الجهة المقابلة لهُ لان الماء اقرب اليهِ من القاع وجذبهُ لقاع البحر اشد من جذبهِ لمائهِ في الجهة الاخرى من الارض لان قاع البحر هناك اقرب اليهِ من مائهِ فتكون النتيجة ان الماء يرتفع في الجهة المقابلة للقمر وفي الجهة الاخرى من الارض ايضًا . ولا يقع الجزر الاَّ اذا اوقع المد فالماء الذي يجزر من مكان يمدُّ بهِ ماء مكان آخر

(١١) الفتور بعد النوم

ومنهُ . ما علة الخبل والفتور اللذين ينشآن عن النوم بعد العصر

ج اذا نام الانسان قلَّ توارد الدم الى دماغهِ واجتمع كثير منهُ في احشائهِ فاذا لم تكن مدة النوم كافية لزوال الفضول من الدماغ استيقظ والدم قليل في دماغهِ والفضول لم تنزع كلها منهُ فيشعر بالفتور

المذكور لان النشاط لايكون الاَّ اذا تغذى الدماغ جيدًا وكثرت الدقائق الجديدة فيهِ وقلّت الدقائق الهالكة منهُ وهو يتغذّى وتكثر فيهِ الدقائق الجديدة بكثرة الدم النقي وتزول منهُ الدقائق الهالكة بواسطة توارد الدم الجديد مع الراحة الطويلة

(١٢) احماء مواقد البترول

ومنهُ . لماذا لا يشتغل الطبَّاح ذو الطلنبة الاَّ اذا احمي اعلاهُ بشيءٍ من السبيرتو يوضع في مستدير تحت اعلاهُ واذا أُشعل بلا احماءٍ خرج منهُ الدخان والرائحة المعهودان في زيت البترول

ج لا يزول الدخان والرائحة من زيت البترول الاَّ اذا اشتعل اشتعالاً تامًّا وهذا الاشتعال التام يقتضي درجة عالية من الحرارة حتى تتمكن بها غازاتهُ من الاتحاد باكسجين الهواء ويقتضي وجود كمية كافية من الاكسجين فباحماء الهنة المستديرة التي تشيرون اليها توجد الحرارة اللازمة لجعل غازات البترول تتحد باكسجين الهواء ثم ان احماءها يحرك الهواء فيأتي من تحتها ومن حولها ويصعد مع المجرى الصاعد منها كانها مدخنة القنديل وفي هذا الهواء اكسجين كافٍ لاحراق غازات البترول

(١٣) الفول والبراغيث

ومنهُ . ما العلاقة بين ظهور الفول وهيجان البراغيث وكثرتها

ج لا علاقة بينهما ولكن يتفق في هذا القطر ان يزهر الفول في فصل الربيع وتكثر البراغيث في فصل الربيع ايضاً

---

(١٤) فصل المعادن بعضها عن بعض

حمص . عطا الله افندي مبيض . اذا اختلطت معادن بعضها ببعض من فضة وذهب ونحاس وحديد وبلاتين وزيبق وصوديوم وروديوم ورصاص وقصدير وغير ذلك فهل من واسطة لتخليصها بعضها من بعض كلٍّ على حدة افيدونا مفصلاً

ج اذا اردنا ان نتكلم مفصلاً عن طرق استخلاص المعادن كلها وجب علينا ان نترجم لكم كتاباً في علم المعادن واصغر كتاب رأيناهُ في هذا الموضوع كتاب دانا وهو لو ترجم الى العربية لملأَ مجلدين كبيرين كلاً منهما اكبر من مجلد من المقتطف. والايجاز ايضاً اطول من ان يحتملهُ باب المسائل ولكننا نشير الى شيءٍ منهُ اشارة مثال ذلك اذا كان معدن النحاس مخلوطاً بالفضة كما يكون عادة وكانت الفضة تزيد على نفقات استخراجها من النحاس يضاف الى النحاس نحو ثلاثة امثالهِ من الرصاص ويصهر المعدنان معاً وتسبك منهما اقراص صغيرة ثم توضع هذه الاقراص في فرن خاص ويكون تحتها ميزاب عميق فيذوب الرصاص من الاقراص ويجري في الميزاب ويأخذ معهُ الفضة ويبقى

النحاس في الاقراص فقط . ثم يستخرج الرصاص من الفضة بطريقة يطول شرحها وبواتق واتاتين خاصة بذلك

هذا اذا كان مقدار المعادن كبيرًا واريد استخلاصها بالتعدين واما اذا كان مقدارها قليلاً واريد استخلاصها للامتحان الكيماوي فالعمل في ذلك ان يذاب المعدن بالحوامض التي تذوبه ويضاف اليهِ الحامض الهيدروكلوريك فيرسب منهُ كلوريد الرصاص والفضة والزيبق ويجمع الراسب ويغسل ويفرق بين هذه المعادن الثلاثة بان الماء الغالي يذيب كلوريد الرصاص ولا يذيب كلوريد الفضة والزيبق هذا . وماء النشادر يذيب كلوريد الفضة

ثم يجرى في السائل الذي رسب منهُ الرصاص والفضة والزيبق هيدروجين مكبرت فيرسب منهُ البزموث والكدميوم والنحاس والزرنيخ والانتيمون والقصدير والذهب والبلاتين . ويغلى الراسب في الحامض الكبريتيك فيذوب البزموث والكدميوم والنحاس بعد اضافة حامض كبريتيك مخفف الى السائل . ثم يضاف ماء النشادر بزيادة فيرسب البزموث وانكدميوم والنحاس ثم يذوب كل من الكدميوم والنحاس عند زيادتهِ فيفرقان عن البزموث ثم يفرق الكدميوم عن النحاس بان الحامض الكبريتيك المخفف الغالي يذيب كبريتيد الكدميوم ويبقى كبريتيد النحاس غير ذائب . وعلى هذا النحو تفرق بقية المعادن بعضها عن بعض كما ترون في كل كتاب للتحليل الكيماوي

---

(١٥) عصير الطماطم

المطاعنة . عطا الله افندي تناغو . كيف يحفظ عصير الطماطم من غير ان يعتريهُ الفساد

ج يضاف اليهِ ملحٌ كافٍ ويغلى على النار حتى يشتد قوامهُ ويصير مثل الزبدة فيوضع في قناني وتسدّ جيدًا فيحفظ كذلك

(١٦) المساهل للحوامل

ومنهُ . هل تمنع الحامل من اخذ المساهل كزيت الخروع والملح الانكليزي وما شاكل خوفًا على الجنين من الاسقاط كما يقول العامة

ج نعم تمنع من اخذ المساهل القوية ولا سيما بعد الشهر الرابع

---

(١٧) النوم الطويل

اسيوط . محمد افندي توفيق رستم . قرأت في احد التقاويم ان امرأة نامت ٥٥٠٠ يوم بلياليها من غير ان تستيقظ ساعةً في خلال تلك المدة الطويلة فهل ذلك صحيح

ج شاهدنا شابًّا نام نحو شهر من الزمان ثم اصيب بدخل في عقلهِ ومات وقرأنا عن اناس ناموا اسبوعًا او اسبوعين او ثلاثة او اربعة او خمسة وترى نوادرهم مذكورة في الصفحة ٢٨٥ من المجلد الثالث من المقتطف .

وعن رجل نام واحدًا وسبعين يومًا متواليًا وقد ذكرت قصتهُ في الصفحة ٤٤٠ من المجلد السادس من المقتطف. وعن رجل آخر نام اربعة اشهر ونصف شهر نومًا متواصلاً وقصتهُ مذكورة في الصفحة ٤٣٠ من المجلد السادس عشر لكننا لم نسمع ولم نقرأ ولا نكاد نصدق ان احدًا ينام ٥٥٠٠ يوم اي اكثر من خمس عشرة سنة نومًا متواليًا

باب الاخبار العلمية

النور والغرف

اذا انيرت غرفة بعدد محدود من المصابيح واختلف لون جدرانها اختلف ظهور النور واشراقهُ فيها فاذا كانت جدرانها مغطاة بالمرايا كان اشراق النور فيها على اتمهِ واذا كانت مغطاة بالمخمل الاسود كان اشراق النور فيها على اقلهِ. ويختلف اشراق النور فيها بين هذين الحدين باختلاف لون جدرانها كما ترى في هذا الجدول

اذا كانت مغطاة بالمرايا	٩٢
« مدهونة دهانًا ابيض	٧٠
« « « برتقاليًا فاتحًا	٥٤٫٨
« « « اخضر «	٤٦٫٥
« « « اصفر «	٤٠
« « « ازرق «	٣٠
« « « اصفر قاتمًا	١٦٫٢
« « « اخضر «	١٠٫١
« « « ازرق «	٠٦٫٥
اذا كانت مغطاة بالورق الاسود	٠٤٫٥
« « بالخوخ «	٠١٫٢
« « بالمخمل «	٠٠٫٤

والدهان اللامع يعكس النور اكثر مما يعكسهُ الدهان غير اللامع

الكهربائية في الحرب

ابنا غير مرة ان التلغراف الاثيري يستعمل الآن في الحرب بين انكلترا والترنسفال والظاهر من كلام ماركوني ان الانكليز وحدهم يستعملونهُ لان اهالي الترنسفال ليس عندهم آلات صالحة من آلاتهِ. لكن استعمال التلغراف الاثيري لا يعد شيئًا امام التلغراف العادي فانهُ لما كانت رحى الحرب دائرة على نهر مدر ارسل الانكليز بهِ مئة الف كلمة في يوم واحد اي ما يملأُ مئتين وخمسين صفحة من صفحات المقتطف

النور الكهربائي في معرض باريس

سينار معرض باريس المقبل باثني عشر

الفاً و ٥٥٤ مصباحاً كهربائياً بين كبير ساطع كالشمس وصغير عادي هذا عدا المصابيح التي ينير بها العارضون معروضاتهم . وينار الشان اليزه بمئة واربعة وسبعين مصباحاً من ذوات النور القوسي الساطعة النور

الشعور باللون

نشر العلماء الذين ارسلوا منذ مدة لدرس طبائع اهل غينيا الجديدة بعض ما وقفوا عليهِ من امور تلك الشعوب المتوحشة . من ذلك ان شعورهم بالالوان ضعيف جدًّا فاهالي جزيرة ليفو لا يشعرون بها ابدًا أما من بقي من تلك الشعوب فليس في لغتهم اسم إلاَّ للون الاحمر وهم يشعرون قليلاً بالاصفر أما الازرق فلا يشعرون بهِ

و يظهر ان الشعور باللون الازرق خاص بالشعوب البالغة درجة سامية من التمدُّن حتى ان اليونان القدماء سموا الازرق اسود والاسود ازرق في اقدم كتاباتهم ووصف ڤرجيل الشاعر الغيوم بالزرقة والبنفسج بالسواد وادخل الانكليز اسم اللون الازرق الى جزائر مري فصار سكانها يعبرون عن هذا اللون باللفظة الانكليزية فيقولون " بلو بلو " لكن هذه الحاسة ليست واضحة عندهم وضوحها عندنا

طعام جديد

جاء في احدى الجرائد الفرنسوية ان احد علماء الكيمياء في اميركا اكتشف طريقة لتجفيف الاطعمة من غير ان تخسر شيئًا من عناصرها الغذائية وذلك انهُ وضع قطعة من اللحم في مجرى كهربائي قوي يصحبهُ مجرى من الهواء الحار فجفَّ اللحم وخسر ٧٠ في المئة من حجمهِ الاصلي وتحوَّل الى مسحوق دقيق الملعقة الصغيرة منهُ تقوم مقام قطعة كبيرة من اللحم فيستطيع الانسان ان يحمل في جيبهِ ما يقيتهُ بضعة ايام

المؤتمرات العلمية في المعرض

عينت الاوقات لاشهر المؤتمرات العلمية التي يراد اجتماعها في مؤتمر باريس المقبل وهي العلوم المحضة وعلم الطيور من ٢٦—٣٠ يونيو

المتيورولوجيا	٢٣—٢٨ يوليو
الطبيعيات والرياضيات	٦—١١ اغسطس
الجيولوجيا	١٦—٢٨ «
الكهربائية	١٨—٢٥ «
الانثروبولوجيا والاركيولوجيا	٢٠—٢٥ «
السيكولوجيا	٢٢—٢٥ «
الاثنوغرافيا	٢٦—١ سبتمبر
الكيمياء	٢٠—٢٩ «
النبات	١٠—١٦ اكتوبر
زراعة الجنائن	٢٥—٢٧ مايو
« الحراج	٠٤—٠٧ يونيو
المعادن والتعدين	١٨—٢٣ «
زراعة الكرم	٢٠—٢٣ «

الزراعة عموماً	١٠—٢٠ يوليو
الفوتوغرافيا	٢٣—٢٨ يوليو
الكيميا الصناعية	٢٣ ٣١ «
الملاحة	٣٠ يوليو—٤ اغسطس
الصيدلة	٨ اغسطس
الجغرافية التجارية	٢٣—٣١ اغسطس
زراعة الاثمار	١٣—١٤ سبتمبر
سكك الحديد	٢٠ - ٢٩ «
الطب الهوموباتي	١٨—٢١ يوليو
« القانوني	٢٠—٩ اغسطس
طب الاسنان	٨—١٤ «
حفظ الصحة	١٠—١٧ «
الهبنوتزم	١٢—١٥ «

حل مسألة الطيران

كتب الدكتور دنيلوسكي الروسي الى جريدة السينتفك اميركان يصف البالون الذي استنبطهُ وطار بهِ وارتفع في الجو حتى غاب عن الانظار ثم عاد الى المكان الذي صعد منهُ ومع الرسالة صور فوتوغرافية لهذا البالون وهو بلوطي الشكل يصعد بخفَّة ثقلهِ ويدار من جهة الى اخرى باجنحة يديرها الصاعدون فيهِ . ومن رأي الروسيين الذين شاهدوا الدكتور دنيلوسكي طائراً فيهِ انهُ قد حلَّ مسألة الطيران

فرنسيس غلتن

من العلماء الذين زاروا القطر المصري هذا الشتاء العلاَّمة المشهور فرنسيس غلتن . وقد دعي للخطابة في الجمعية الجغرافية المصرية في ٢٤ فبراير فتكلم اولاً عن زيارتهِ لهذا القطر سنة ١٨٤٦ وذهابهِ الى الخرطوم ثم استطرد الى الكلام عما اكتشفهُ من ان اثر انامل الانسان ادلُّ دليل عليهِ لان اثر انامل كل انسان خاص بهِ وهو لا يتغير بتغير سنهِ تغيراً يمنع الاستدلال عليهِ كما ابنا ذلك مراراً في صفحات المقتطف . وقد سُرَّ لان هذه الطريقة مستعملة في محافظة مصر للاستدلال على المجرمين كما هي مستعملة في اوربا . و يعلم قراء المقتطف ان المستر غلتون اكتشف قانون الوراثة الذي نشرناهُ في المجلد الحادي والعشرين من المقتطف ولهُ مباحث جليلة فيها

المعرض الزراعي

وصفنا المعرض الزراعي في باب الزراعة في هذا الجزء ونزيد على ذلك ان عدد الذين دخلوهُ ودفعوا ثمن تذاكر الدخول بلغ ١٤٠٠ نفس في اليوم الاول والف نفس في اليوم الثاني و٦٢٧٨ نفساً في اليوم الثالث وهؤُلاء عدا اعضاء الجمعية وعدا المدعوين الذين دخلوا بلا دفع في الايام الثلثة . فيقدر عدد الذين زاروهُ هذه السنة باحد عشر الف نفس . وهو يبلغ اضعاف ما بلغ في السنة الماضية

ويقدر المطلعون على ما جرى في هذا

المعرض ان ما بيع من الآلات والادوات على اثر العرض فيهِ بلغت قيمتهُ من ٤٠ الى ٥٠ الف جنيه

ولهذا تهتم الجمعية الزراعية منذ الآن بزيادة تسهيل العرض فيهِ في السنة الآتية فيفكر بعضهم في بناء سقائف دائمة للآلات واسطبلات دائمة للمواشي ونحو ذلك من وسائط التسهيل

تعمير العلماء

نشر الاستاذ فترولا المكسيكي مقالة في اعمار المشتغلين اشغالاً عقلية ابان فيها ان متوسط عمرهم ٦٨ سنة ومتوسط عمر العلماء منهم والمحامين والمؤرخين اكثر من سبعين سنة

النجاح العام

ذكرنا في باب الزراعة في هذا الجزء ان قيمة الصادرات من القطر المصري زادت عنها في العام الماضي اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات . والظاهر ان هذه الزيادة في قيمة الصادرات عمومية في اكثر الممالك فقد بلغت الزيادة في ثمن الصادرات من بلاد الانكليز نحو ٢٢ مليونا من من الجنيهات . ومن بلاد فرنسا نحو ١٥ مليونا ونصف مليون من الجنيهات ومن بلاد المانيا نحو سبعة ملايين من الجنيهات ومن الولايات المتحدة الاميركية نحو اربعة ملايين من الجنيهات . ولم تبلغ الزيادة مبلغاً عظيماً في الولايات المتحدة الاميركية لان الصادرات الزراعية منها بلغت اعظم مبلغ سنة ١٨٩٨ فزادت اربعة عشر مليوناً من الجنيهات عما كانت عليهِ في العام الماضي اما سائر المواد فزاد الصادر منها في العام الماضي زيادة بالغة فقد كان ثمن المصنوعات الصادرة منها سنة ١٨٩٨ نحو ٦١ مليون جنيه فبلغ في العام الماضي ٧٦ مليون مليون جنيه اي زاد ١٥ مليون جنيه في سنة واحدة

ويستدلُّ من ذلك على امرين مهمين الاول ان مناظرة الامم الاوربية للامة الانكليزية في التجارة الخارجية لم تضعف التجارة الانكليزية والثاني ان ابواب التجارة تزيد اتساعاً عاماً فعاماً وان الذهب قد كثر في ايدي الناس فسهل عليهم ابتياع الحاجيات والكماليات ايضاً

الانفاق على الكماليات

ذكرت جريدة الايكونومست مقدار ما استعملهُ الانكليز في العام الماضي مما ليس من الحاجيات كالشاي والتبغ والخمر والبيرة فقالت انهم استعملوا ٢٤٢٥٦١٠٠٠ رطل (ليبرة) من الشاي و ٧٨٦٤١٠٠٠ رطل من التبغ و ٣٩٥٤٠٠٠٠ رطل من الكوكو و ٣٥٧٧٠٠٠٠ برميل من البيرة و ١٦٦٦٢٠٠٠ جالون من الخمر و ٢٦٨٠٠٠٠ رطل من البن . فيشرب كل نفس منهم في

سنتهِ ستة ارطال من الشاي ورطلين من التبغ ورطلاً من الكوكو ونحو برميل من البيرة ونصف جالون من الخمر ونحو ثلثي رطل من البن . واذا حسبت الذين يشربون ذلك هم البالغون فقط وانهم نصف السكان تضاعف مقدار ما يشربهُ كلٌّ منهم

عيد بنك فرنسا

عيَّد بنك فرنسا عيد مرور مئة سنة عليهِ فقد انشيء في ١٣ فبراير سنة ١٨٠٠ وكان رأس مالهِ عند انشائهِ ٣٠ مليون فرنك (١٢٠٠٠٠٠ جنيه) مقسومة ٣٠٠٠٠ سهم كل سهم منها الف فرنك وقد اكتتب نبوليون وبعض اعضاء عائلتهِ ببعضها ولم يُكتتب بسوى ٧٥٠٠ سهم في اول الامر ولم يتم الاكتتاب بها كلها الاَّ بعد سنتين . وبلغ المال الذي اشتغل بهِ البنك في السنة الاولى من انشائهِ ٢١ مليون فرنك فقط . ثم زيد راس مالهِ رويداً رويداً وهو الآن ١٨٢٥٠٠٠٠٠ فرنك او ٧٣٠٠٠٠٠ جنيه وقيمة هذه الاسهم بحسب سعرها الحالي ٧٦٠ مليون فرنك اي اكثر من اربعة اضعاف قيمتها الاصلية

تجارة الحرير في ليون

بلغ الحرير الداخل مدينة ليون في العام الماضي ٧٥٥٨٧٢٠ كيلو غراماً وذلك يزيد عما كان في العام الذي قبلهُ نحو ١٧ في المئة وعن متوسط الاعوام العشرة الماضية نحو ٢٧/١ في المئة . وتجارة الحرير في ميلان اتسعت اخيراً اكثر من اتساعها في ليون فقد كان مقدار الحرير الوارد اليها ٢٧٨١١٨٥ كيلو غراماً سنة ١٨٩٧ فبلغ ٨٧٢٣٧١٥ كيلو غراماً سنة ١٨٩٨

لورد لبك لورد اقبري

ذكرنا في الجزء الاول من هذه السنة ان ملكة الانكليز انعمت على السر جون لبك بلقب لورد وجاء في جريدة ناتشر الآن انهُ اختار ان يلقب لورد اقبري Avebury نسبة الى مكان لهُ فيهِ املاك . فسيكون اسمهُ من الآن فصاعداً لورد اقبري . وهو اسلوب غريب للانكليز في تغيير اسمائهم حينما يمنحون القاب الشرف

العلم في جنوبي افريقية

ابتدأ العمران في شمالي افريقية في مصر وساحل بحر الروم الى بلاد المغرب فعمرت هذه البلدان قبلما عمرت غيرها من ممالك الارض ودخلها العرب وامتلكوها منذ الف وثلثمئة سنة وليس فيهم الآن من يجود بعشرة آلاف جنيه على انشاء مدرسة كبيرة. وابتدأ العمران في جنوبي افريقية في القرن الماضي وامتلكهُ الانكليز في اوائل هذا القرن وهو الآن يفاخر بالمدارس الجامعة وبالامس وهب واحد من سكانهِ مدرسة الراس الجامعة

ثلاثين الف جنيه . ووهب مدرستهُ الكلية عشرة آلاف جنيه

الاستاذ هيوز

يعلم قرَّاءُ المقتطف اسم هذا المخترع من اختراعهِ للميكروفون وللاسلوب الذي تكتب بهِ الانباء التلغرافية كتابة . ولد ببلاد الانكليز سنة ١٨٣١ وهاجر بهِ ابواهُ الى اميركا فاستنبط فيها التلغراف الكاتب وهو في الرابعة والعشرين من عمرهِ فشاع استعمالهُ رويدًا رويدًا في المسكونة كلها وربح منهُ اموالاً طائلة انفق الكثير منها على المدارس والمستشفيات. واستنبط الميكروفون الذي تقوى بهِ الاصوات الضعيفة وذلك سنة ١٨٧٨ .ولهُ مستنبطات اخرى في الكهربائية. توفي ببلاد الانكليز في ٢٢ يناير عن ٦٨ سنة ودفن باحتفال عظيم في السابع والعشرين منهُ وحضر الاحتفال بدفنهِ كثيرون من كبار العلماء مثل لورد لستر ولورد كلفن والسر وليم كروكس والسر فردرك برمول والاساتذة طمسن ودوَر وبري وملدولا وغيرهم

هبة علمية فرنسوية

وهب المسيو دانيال اوزيرس انستتو فرنسا مالاً يبلغ ريعهُ مئة الف فرنك كل ثلاث سنوات ليعطي جائزة لمن يكتشف اعظم اكتشاف علمي او يؤلف افضل كتاب في العلوم والفنون والاداب

ترعة نيكارغوى

تمَّ الاتفاق بين الولايات المتحدة الاميركية والحكومة الانكليزية على فتح ترعة نيكارغوى بدل ترعة بناما فتفتحها الولايات المتحدة وتديرها ولكنها تبيح السير فيها لكل الامم مثل ترعة السويس

التطعيم الواقي من التيفويد

قرَّر الاستاذ ريطانهُ راقب صحة ١١٢٩٥ من الجنود في بلاد الهند بعد ان طعَّم ٢٨٣٥ منهم بالطعم الواقي من التيفويد فوجد انهُ اصيب بالتيفويد بعد ذلك ٢٥ في الالف من الذين لم يطعموا و ٩ في الالف من الذين طُعموا ولذلك فالطعم نافع حتماً ولو كان لا يقي كل احد من الذين يطعَّمون بهِ

اكبر المصارف

قُدّرت النفقات اللازمة لمصارف القاهرة بنحو سبع مئة الف جنيه فجعلت الحكومة المصرية تقدّم رجلاً وتؤخر اخرى وهي تجد المال اللازم لذلك غير ميسور لها . وفي اول هذا العام فتحت مدينة شيكاغو باميركا مصرفًا كبيرًا صنعتهُ لتنزح فيهِ الاقذار منها بدلاً من صبها في بحيرة مشيغان التي تشرب من مائها. وقد انفقت على عمل هذا المصرف ستة ملايين من الجنيهات . هذا ما فعلتهُ مدينة اميركية لم يكن لها اثر في الوجود لما جاء محمد علي باشا جد العائلة الخديوية الى هذا القطر

وقد عجزت عن عشرهِ اكبر مدينة في هذا القطر بل في افريقية كلها

نفقات المسكرات

قابل المستر مكفرلين في مجلة الاحد بين ما ينفقهُ الانكليز على التبشير وعلى المسكرات فوجد انهم ينفقون في السنة مليونًا وثلث مليون من الجنيهات على التبشير و١٥٤ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات على المسكرات

التبغ والنساء

عُرضت مسألة تدخين النساء للتبغ على خمس من الكاتبات الشهيرات في جريدة النساء المسماة "لادس رلم" فكتب اربع منهنَّ في جواز التدخين وكتبت الخامسة في منعهِ. قالت الاولى " ان المرأة حرَّة ان تدخن اذا ارادت اما انا فاكره التدخين ولا يمكن ان اعتادهُ. ولا يليق بامرأة ان تدخن ما لم تجد لذة في التدخين تقابل ما فيهِ من الكراهة" وقالت الثانية يتوقف جواز التدخين على احوال الزمان والمكان فاذا رأَت المرأَة ان تدخينها التبغ لا يزعج احدًا جاز لها تدخينهُ لكن الفرص التي تمكنها من ذلك قليلة جدًّا . وقالت الثالثة ان ما يجوز للرجل يجوز للمرأَة . ولكن لا يليق بامرأَة ان تدخن التبغ حيثما تدخينهُ يؤذي احدًا . وقالت الرابعة ان كل امرأَة تجلس مثلي على مكتبها ثماني ساعات متوالية تجد في السيكارة دماغًا جديدًا . وقالت الخامسة ان المرأَة التي تدخن تصير مترجلة مكروهة وحبذا لو تجنبها الرجال فانهُ لا شيءَ يردها الى صوابها مثل ابتعادهم عنها

جريدة النساء اليومية

في فرنسا جريدة يومية ينشئها النساءُ ويديرها النساءُ ويطبعها النساءُ ولا يشاركهن فيها رجل وهي ابلغ الجرائد الفرنسوية انشاءً واصحها اخبارًا واوسعها نطاقًا حتى لُقِّبت بالتيمس اللابس لبس النساء. وقد بيع من العدد الاول منها نحو مئتي الف نسخة . وفيها نحو ١٢ محررة وثلاثين كاتبة

خرائب السوس

يرى القارىءُ في ما نشرناهُ في هذا الجزء من تاريخ الاسكندر المكدوني ان السوس او سوسة كانت عاصمة بلاد الفرس في ايام الاسكندر. وقد وجَّه علماءُ العاديات عنايتهم اليها ووجدوا فيها كثيرًا من الآثار القديمة . ولما استعفى المسيو ده مورجان من ادارة دار التحف المصرية مضى اليها وبحث في اطلالها فوجد فيها تحفًا كثيرة وفي جملتها نصب اقيم للملك نارام سن تذكارًا لواقعة عظيمة تغلَّب فيها سنة ٣٧٥٠ قبل المسيح . ومسلَّة من الغرانيت علوها ست اقدام جوانبها مملوءَة بالكتابات وعليها ١٢٠٠ سطر منها وشقف كثيرة من الخزف المدهون المنقوش نقوشًا بديعة

غلات اميركا

نشر ديوان الزراعة في اميركا الاحصاء الآتي لغلاتها سنة ١٨٩٩

الحنطة	٥٤٧٣٠٣٨٤٦	بشلاً
الذرة	٢٠٧٨١٤٣٩٣٣	"
الشعير	٧٢٣٨١٥٦٨	"
البطاطس	٢٢٨٧٨٣٨٣٢	"

وقد بلغ ثمن الحنطة نحو ٣٢٠ مليون ريال وثمن الذرة نحو ٦٩٢ مليون ريال وبلغت غلة الفدان من الحنطة ١٢ بشلاً وثلاثة اعشار . وغلة الفدان من الذرة ٢٥ بشلاً وثلاثة اعشار

الزيوت في اوربا

محل الزيتون في فرنسا وايطاليا واسبانيا هذا العام فلم ينتج ثلث الموسم العادي وسبب هذا المحل نوع من الحشرات يبيض في حبوب الزيتون ويفسدها

بعض المعارك الشهيرة

قتل وجُرح من الفرنسويين لما ارتدوا من موسكو ثلاثون الفاً . وقتل وجرح منهم في معركة لبسك سنة ١٨١٣ خمسة وستون الفاً في ثلاثة ايام وقتل وجرح منهم في واقعة استرليز نحو تسعة وعشرين الفاً. وقتل وجرح من الروسيين في بلاڤنا ١٨ الفاً . ولما نشبت حرب القرم اطلق الروسيون فيها ٤٥ مليون رصاصة فلم يقتلوا بها سوى ٤٨ الف نفس

نجاح سريع

تألف سنديكات في استراليا سنة ١٨٩٣ من عشرة اشخاص دفع كلٌّ منهم خمسة عشر جنيهاً وفتح مناجم كولغاردي في غربي استراليا . وقد باع هذه المناجم الآن فاخذ ثمنها مليوناً ونصف مليون من الجنيهات واسهماً تساوي تسعة ملايين ونجاح مثل هذا نادر جدًّا لا يقاس عليهِ

قياس حرارة النجوم

صنع المستر نيكولس من مدرسة دارتموث الكلية باميركا مقياساً تقاس بهِ حرارة النجوم فيهِ صفيحتان صغيرتان من الميكا قطر الصفيحة منهما ملّيمتران متصلتان بقضيب من الزجاج معلق بخيط دقيق جدًّا من زجاج الكوارتز فيجمع النور على صفيحتي الميكا بمرآة قطرها قدمان فتحركهما حرارتهُ مهما كانت قليلة فانهما تتأثران بحرارة الشمعة ولو كانت بعيدة عنهما خمسة عشر ميلاً اذا جمع نورها بالمرآة عليهما وقد ثبت بهذه الآلة ان للنجوم حرارة يمكن قياسها بها

تحريك القوارب عن بُعد

لم تبقَ شبهة في ان امواج هرتس الكهربائية تفعل على مسافة ثمانين ميلاً او اكثر من غير موصل ورغماً عن كل حاجز. اي ان الانسان الذي عندهُ آلة من آلات مركوني هنا يستطيع ان يولِّد منها امواجاً

كهربائية تؤثر في آلة مثلها فتديرها ولو كانت على ثمانين ميلاً منها . وقد استخدم بعضهم ذلك لتسيير قوارب التربيد في قلب البحر ولتسيير السفن التي تجري تحت سطح الماء وجربته الحكومة الانكليزية فرأت مبدأه صحيحاً ولا يبعد ان يفي بالغرض تماماً اذا أُتقن فتتغير بهِ اساليب الحروب البحرية

التلغراف الاثيري في السفن

استأجرت الحكومة الاميركية عشرين آلة من آلات مركوني لتضعها في عشرين سفينة حربية وستدفع اليهِ عن كل آلة مئة ريال كل سنة . ويقال ان الحكومة الانكليزية عازمة ان تضع آلات مركوني في كل بوارجها

الاشتاء في روسيا

اعتادت الحيوانات التي لا تجد طعاماً في الشتاء ان تنام فصل الشتاء كله لكي لا يزول شيء من قوتها وهي غير قادرة ان تستعيض عنهُ بالطعام . ومن اغرب ما ذكر عن احوال الانسان في هذا العصر ان فقراء الفلاحين في بلاد الروس اقتدوا بالحيوانات الشاتية فاذا اقبل الشتاء ورأوا ان ما عندهم من الطعام لا يكفيهم الى الربيع اذا اكلوا منهُ كفافهم اوقدوا النار في افران خاصة في بيوتهم وجعلوا ينامون على سطوح تلك الافران ولا يقومون الاَّ لاصلاح النار واكل كسرة من الخبز مبلولة بالماء . و يمر فصل الشتاء وهم كذلك حتى لا تضطر ابدانهم ان تنفق شيئاً من قوَّتها لا في الحركة ولا في توليد الحرارة

آثار قرطاجنة

لا تذكر قرطاجنة الاَّ اعترت السوريين هزَّة وتحسَّروا على مجد اسلافهم الذي امسى اثرًا بعد عين . وقد نقب المسيو غوكله مدير العاديات في تونس بعض اطلال قرطاجنة في العام الماضي فوجد فيها كثيراً من آثار مجدها السالف من ذلك صفيحة من المرمر مقدَّمة للمشتري وعليها ختم اثني عشر كاهناً . واربعة تماثيل من الرخام الابيض واحد منها يمثل الالهة سرس التي قامت مقام الالهة تنت الفينيقية . ووجد في مدفن قديم كثيراً من الوجوه الخزفية المصنوعة على هيئات مفزعة لكي تزجر بها الارواح الشريرة عن الموتى . ووجد في قبور اخرى حلًى من الفضة وعقوداً من الحجارة الكريمة وخواتم من الذهب . وفي قبر منها هيكل امرأة في اصابعها خواتم من الذهب وفي عنقها عقد كبير من الذهب مرصع بالحجارة الكريمة وبجانبها اناء من الخزف المدهون بالمينا وآنية من بيض النعام ومصباح . ووجد في قبر آخر قوالب من الخزف لسبك الاسماك والطيور. ومن اغرب ما وجده اسطوانة من العقيق على صورة الاله مردخ يخنق نعامة

فهرس الجزء الثالث من المجلد الرابع والعشرين

١٧٧ البعوض وطبائعهُ (مصوَّرة)

١٨٢ التلغراف الاثيري

١٨٥ رواية تنكرد

٢٠٤ تقدم الجراحة هذا القرن
لحضرة الدكتور وديع برباري طبيب مستشفى الزقازيق

٢٠٩ تولد الاقمار
من رسالة للعالم الفلكي جورج دارون

٢١٣ بلاغة العرب والافرنج
لحضرة الكاتب المجيد خليل افندي ثابت

٢١٨ ذات الاجراس وملك الحيات (مصوَّرة)
للاستاذ داود ستار جوردان رئيس مدرسة لالند ستانفرد الجامعة

٢٢١ الاسكندر ذو القرنين (مصوَّرة)

٢٢٩ مدينة الملح (مصوَّرة)
لنجيب صروف

٢٢٣ مستقبل افريقية الجنوبية

٢٣٣ كاهن تشن كنج

---

٢٤٠ باب الزراعة * المعرض الزراعي · النجاح في العام الماضي · النيل وزراعة القطن · زراعة قصب السكر

٢٤٧ باب تدبير المنزل * البيض في الطعام · صحة الحوامل

٢٥١ باب الرياضيات * السيارات وحركتها في شهر مارس

٢٥٢ باب التقريظ والانتقاد * اصلاح المحاكم الشرعية · نوادر الكرام · تقارير دار العلم الثمسونية · مجلتان جديدتان

٢٥٦ باب المسائل * الاطفال · وتغيير الهواء · اصل الخماسين · الحرارة والجاذبية · التلعثم · اختلاف الاذواق · عبد الله بن المقفع · اصل كليلة ودمنة · اصل ماء البحر · زيادة البحر ونقصانهُ · سبب المد والجزر · الفتور بعد النوم · احماء مواقد البترول · الفول والبراغيث · فصل المعادن بعضها عن بعض · عصير الطماطم · المساهل للحوامل · النوم الطويل

١٦٦ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ٢٤ نبذة